جمعية المعلمين الكويتية

اسبوع العمل الفدائي

٢٥ - ٣١ مارس ١٩٦٩

معنى السلام عند اسرائيل

ماذا تريد اسرائيل ؟

للاستاذ شاكر مصطفى

معنى السلام عند اسرائيل

هذه الاسطورة التي سوف أروي ، لا اذكر اين قرأتها ولا الى اى بلد تنتمى ، ولكنها أسطورة تقول ان شجرة الصفصاف الباكى لم تكن فى مبدأ الخلق شجرة ولا باكية ولكن كانت بشرا سويا من البشر . واما القرد فكان كلبا أو نوعا من الكلب ، وذات يوم شكا الى البارىء الخالق حاله وحسن خلق الانسان فوعده الله ان يبدل خلقه ان تنازل له الانسان برضاه التام عن صورته . والشرط الوحيد لذلك الا تبدر من المسلوب شكوى . فلن هو شكا الغي الوعد . وانقضى دهر وذلك الكلب يحاول الظفر بانسان يرضى له بذلك . وعبثا يحاول . حتى ظفر مرة بحطاب مريض عند حافة غدير ، ألفه الكلب تم جعل يأتيه يوما بقطع خبز ويوما ببعض الصيد حتى اذا استأنس الرجل .. قال الكلب لو أعرتني يديك لقطعت بهما الحطب لك فأعاره . ثم قال له لو أعرتنى ساقيك لسعيت بهما الى السوق فبعت هذا الحطب فأعطاه الساقين ثم قال له لو أعرتني رأسك والوجه فاني لا امن أن أغشى السوق برأس كلب ، فرضي الحطاب . وذهب الكلب بغنائمه الى الخالق يعدو . ولم يكن على الارض شكوى .. كان السلام هناك .. فمنحه الخالق تلك الغنائم على مقداره فاذا هو القرد ..

أما الحطاب فلم يهتد اليه أحد ، لقد وجدوا مكانه شجرة صفصاف تبكي على ضفاف الغدير ! .. وغالبا ما كان القرد يأتي هذه الشجرة فيتأرجح ويقفز ويكسر الاغصان والفروع سنة بعد سنة ثم يبول فى الجذور . اكثر من مليوني صفصافة باكية تغص بها الآن بلادى لان الحطاب قبل السلم . ظن ان الحق يقوم بنفسه . حسب أن الكلب يظل على خلقته الاولى كلبا .

● السلم يعني وجود اسرائيل

ان القصة الاخرى للصهيونية هى قصة الجهد المحموم الذى بذلته منذ وجدت لتحول بين الضحية والصراخ . لتوفق بين الاغتصاب والسلم ، ليتحول الكلب الى ما يشبه الانسان قبل أن يدرك الحطاب انه قد حال حطبة باكية ! .. ولا أحسبني أضع النتائج قبل المقدمات واقفز الى نهاية الحديث وأنا بعد فى بدايته ان لخصته منذ الآن بهذه المعادلة المبسطة السلم فى نهاية التحليل يعني وجود اسرائيل واذا كان لا سلم فلا اسرائيل. جيلنا الذى فشل

ثلاث مرات فى مدى عشرين سنة يجب أن يلقن الجيل القادم التجربة، أن يورثه كلمة واحدة على الاقل : لا سلم ! هذا اذا لم نشأ لذلك الجيل القادم ولمن بعده أن يكونوا أجيال العبيد .

هل قلت ان الصهيونية منذ وجدت كانت تحرص دوما على أن تصل الى السلم ؟ بلى وكان لهذا السلم الذى تسعى اليه وتعمل له لونان فى وقت واحد ، ولونان مختلفان لكن يتمم أحدهما الآخر . الذبح فى الارض المقدسة لاصحاب الارض وشحاذة العطف والسلم من الناس ! هرتزل ، أبوهم الذى علمهم المكر وما ينبغي له وضع القانون ذا الوجهين :

يقول الرجل فى كتابه الدولة اليهودية : « لنفترض مثلا اننا نريد أن نطهر بلدا من الوحوش الضارية ، طبعا لن نحمل الترس والرمح ونذهب فرادى فى أثر الدببة ، كما كان الاسلوب فى القرن الخامس فى أوربا بل سننظم حملة صيد جماعية ضخمة ومجهزة ونطرد بها الحيوانات ونرمي فى وسطها قنابل شديدة الانفجار » واذا بدا هذا الاسلوب وقحا فى صراحته وفى موضوعه فهل فعل الامريكيون شيئا آخر يا ترى مع الهنود الحمر ؟ وهل أتى هرتزل هاهنا بجديد لم يجده من قبل فى مبادىء التلمود « كتاب اليهود العتيق ؟ »

تدخل الحكومات ذات المصالح

أما الاسلوب الآخر المتمم لهذا فقد قاله هرتزل أيضا فى الكتاب نفسه : « لا يمكن تنفيذ الدولة دون التدخل الصديق من جانب الحكومات ذات المصالح والتى تعود عليها الحركة بمنافع جمة » .

ومن أجل هذا التدخل الصديق كان هرتزل يركض ما بين القيصر الروسي وقصر يلدز لآل عثمان ويقضي الليالي حالما بمقابلة الامبراطور الالماني أو بزيارة لاحد اللوردات فى بكنغهام.. وكان حائط المبكى ينتقل معه تارة الى سويسرا وأخرى الى بلجيكا وثالثة الى باريس او القاهرة ، يرجو العطف للمساكين المضطهدين المعذبين ضحايا اللاسامية .. الذين لا يطلبون فى الدنيا سوى العيش بسلام فى أي مكان : فى قبرص فى أوغندا فى فلسطين فى الارجنتين فى القوقاز .. فى اي مكان !

وكان على استعداد لدفع ثمن السلام « وعودا سخية » قروضا بعيدة الوفاء ، مشاريع ترقص فى الاحـلام ، خدمات سياسية سرية ، منافع ورشوات لمن يشاء . لم يكن العرب أصحاب الارض فى حسابه بتاتا . ما فكر بهم وبموقفهم كان يشتري رضى الرأي العام العالمي وسادة السياسة ، اما العرب فالرصاص كفيل بهم .. ولكنها من القصص القديم تلـك القصص ، فقد مرت مياه كثيرة فى الاردن منذ ذلك الحين حتى لقد استحم وشرب تلك المياه قبيل ديان ورابين . واولئك الذين كانوا يتسكعون على ابواب القصور قد غدوا ولهم فى مصير الشرق الاوسط أمر ونهي وراي . منذ سنة ١٨٩٧ . ومن عهد المؤتمر الصهيوني الاول الى اليوم مضت ـ ٧٢ ـ سنة تحول فيها اليهودى التائه الى رشاش يمص الدماء وصار السامي الطريد صاحب دولة تمارس حتى الغزو والاحتلال والابادة الجماعية .. مراحل دونها مراحل آلام السيد المسيح قد عبرها العرب خلال هذه السنين السبعين ، الصليب الذى حملتهم اياه أوربا مرغمين لتتخلص هي من الخطيئة ، صلب على الهوان حتى اليوم مائة مليون انسان ، ولكنها أضحت خبزنا اليومي هذه الاحزان ايضا ، فلن أزيد على ما تعلمون شـيئا لو وقفت عندها . وما ذكرت اذ ذكرت لاعلق من حولي وحولك الان بعض الصور التي تحمـل النور ، حصاد تلك السنين لم يكن : صرخـة جمدت على فم طفلة ، وساقا فلجها الرعب عند الباب،وملامح شوتها النابالم فما تبين ، ومزقا من الامعاء على الجدار وأرجلا تورمت فى التشرد الطويل وسعال الدم فى الخيام .. لا ! ان قائمة الحساب طويلة طويلة . من الخطوط العريضة فيها وراء سجن الدموع وجدران الرعب :

● غنائم الصهيونية فى الانفس والاموال والتراب

حصلت الصهيونية من أملاك الدولة ومن املاك الافراد فى فلسطين بمختلف الطرق على الفي كيلو متر مربع من أصـل مساحة فلسطين البالغة ٢٦ الف كم مربع ثم حصلت بالغزو والقتل سنة ١٩٤٨ على ١٨ ألف كم مربع أخرى ثم استولت بالغزو الاخر سنة ١٩٦٧ على ٥٠ ألف كم مربع ثالثة فى انتظار المزيد والوصول الى النيل وشرب الفرات كله ، قتلت الصهيونية حتى الان حوالي

خمسين الف عربي وشردت مليونين فى الخيام واخذت من اموالهم ثمانية الاف مليون دولار .

● ١٢ ألف مليون دولار تكلفة الدفاع العربي

امتصت الصهيونية من جهود العرب ثلاثة أجيال منكودة الى اليوم وكلفت الدفاع العربي منذ عام ١٩٤٨ حتى الامس وفى مصر والاردن وسورية والعراق فقط ما يعادل ١٢ ألف مليون دولار عدا باقي الديون وعدا ما سوف يأتي من فواتير الحساب .. وعطلت بوجودها العدواني من مشاريع التنمية والاستثمار ما يزيد على ضعفي هذا الرقم فى اقل التقديرات أي ما يقدر ولا أذكر أرقامه بحوالي ٣٠ الى ٤٠ ألف مليون دولار هذا عدا ما انعكس على هذا البلد او ذاك من سطوة العسكريين وتشويه القيم وجر الازمات والتوتر والرعب والحقد التي سحقت الانسان العربي . سحقته حتى الموت ! .

● اثم المظلومين الذين فحشوا

فى مقاييس الجرائم الانسانية الكبرى سـوف يكون لهذه الجريمة مكانها الكبير الرهيب . وجهها الاخر الذى يبرر الوسيلة بالغاية لم يستطع أن يخفي على الصهيونيين أنفسهم ابعادها البشعة. يغطونها أحيانا بذكرى الاضهاد النازي وأفران الغاز ووشم الرعب ولكنهم لا يستطيعون الهرب منها. ولئن اختلفت ردود فعلهم اختلافا واسعا ، وامتدت مواقفهم بين الخجل وبين التبجح المعاند الشرس ، فثمة نقطة مشتركة دوما فيما بينهم : لعلها عقدة الاثم يعترف بها الجميع هي انه اذا كان فى أساس التكوين الصهيوني مأساة مظلومين فانها قد قامت فى الواقع أيضا على مأساة ظلم الاخرين ..

وان كانت الحركة الصهيونية غزوا استعماريا قد حقق لحد كبير أغراضه فان المحافظة على المواقع أصعب بكثير من الاستيلاء عليهـا .

● طائر البليكان يفتح صدره للغزاة

وان كانت القوة حتى الان هي التي انتصرت فان بقاء المكاسب الصهيونية رهن بتنازل العرب عنها . وشكل المستقبل ـ ويعترف الصهيونيون جميعا بذلك ـ رهن بارادة العرب أصحاب المنطقة كلها . وبالصورة التي يستطيعون صوغها لذلك المستقبل . وثمرات

المغامرة الاسرائيلية لا تعطي أكلها ان لم يفتح هؤلاء العرب فى النهاية صدورهم كطائر البليكان فى قصيدة الفرد دي موسيه ليأكله الغزاة .. وهم ينظرون ! .

ترى هل انكشف فى هذه اللمسات السريعة من أين تنبع الحاجة الصهيونية الى السلم ، وفيم لا تتكرر على شفاههم كلمة تكرار هذه الكلمة ؟ .

دعوني أسرع لبعض الايضاح ها هنا .. ما قصدت أبدا الى أنها أزمة ضمير بتلك الحاجة التي تفرض على الصهيوني طلب السلم والالحاح فى طلب السلم . آخر ما يستشير الصهيوني ضميره ، وآخر ما يهمه الموقف الاخلاقي انها بالعكس عقدة الخوف من ان يستيقظ الضمير العالمي أو يتمكن العرب من ايقاظه على المأساة الحية القائمة قبل أن يستكمل المشروع الصهيوني المسمى «اسرائيل» أسباب الاستقرار والبقاء فى هذه المنطقة من أرض الله ..

السلام شعار تعمية وسلاح مضاد

السلم هو العباءة التي تغطي كل شيء .. وورقة اللعب الرابحة فى كل الاحوال . يد الشحاذ المكسورة : عدة الشغل التى تثير الشفقة وتكسب لصاحبها مع صورة الضحية ، العطف والتأييد الانساني وتعطيه فرصة استغلال غنائمه فى اطمئنان اخير . وصورة « الباحث عن السلام » التي تلبسها الصهيونية وتلبسها الدبلوماسية الاسرائيلية بكل مكان وتلقيها فلفلا وبهارا وصنارة صيد فى المؤتمرات الدولية . فى المعارض فى التصريحات فى الجوائز العالمية والمسابقات فى الصحف ، فى جيش الخبراء والمعونات الفنية ، هذه الصورة ليست مجرد كلمة ، ليست صدفة فكر عابرة ، ليست موقفا سطحيا يؤخذ ويرمي .. كما أنها بالمقابل — وهذا بدهي — ليست عقيدة ولا مبدأ من مبادىء السياسة والمثل الصهيونية ولكنها خطة عمل كبرى . هي تكتيك سياسي له مرتكزاته الفكرية والنفسية فى السلوك الاسرائيلي وله التخطيط العلمي النظري وله الاستراتيجية العملية والمنطلقات والخطط والهالة ومداخل الدعوة والاعلام . ان جانبا خطرا من جوانب الجبهة العدوة ضدنا ، سلاحا ماضيا من أسلحته الدولية هو الذي يدعونه بالسلام . أو لسنا نجد على تلك الجبهة القواد العسكريين وأقطاب السياسة والافراد العاديين على السواء ؟ أو لسنا نجد فى

صف واحد ، اصحاب النوايا الحسنة والضمائر الحية جنبا الى جنب مع حملة السكاكين ؟ وأحسب ـ رغم ما فى الامر من بداهة ـ ان من الضرورى أن نقف عند هذه النقطة ببعض التحليل .. من الضرورى ان نسأل كيف توفق الصهيونية بين الغزو الذباح ودعوة السلم ، بين اليد الملوحة بالسلام وحاملة السكين ، بين واقع المضهد (بالكسر) ودعاية المضهد (بالفتح) .

وما الجمع بين النار والماء فى يد بأهون من جمع هذين النقيضين؟ وكيف كان ـ ولم يثلم ـ شعار السلم أحد الاعمدة الاساسية فى الاعلام الاسرائيلي وفى السياسة الخارجية الصهيونية وفى الاهداف المرجوة عندهم للغد ؟ . أحسب كرة أخرى ان ذلك يرجع الى ان السلم :

السلم حقنة مخدر

دعائيا : هو حقنة المخدر المثالية للعالم وليهود اسرائيل وللعرب الاعداء . وهو مرحليا : افضل الطرق لابتلاع المكاسب فى هدوء مرحلة بعد مرحلة وهو فى النهاية : الطـريق الوحيد لتحقيق الاهداف الاستثمارية والمصالح التي ما وجدت اسرائيل الا من اجلها .

اذن فانطلقوا معي قليلا : انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب .

فى مجال الاعلام والدعوة أولا نحن ننسى بعض البدهيات، ننسى أن الناس دوما مع السلم ! بلى ان الوحش يعيش فى الانسان كل انسان . لكن هذا الانسان يحرص على أن يخفي الوحش فيه دوما تحت الجلد . انه ما يزال الى اليوم الوريث غير المنازع لجده القديم قابيل الا أنه يلذ له أن يتظاهر بكره ذلك الجد والبراءة منه . والناس قد يحبون العدل لكنهم مع ذلك يعجبون ـ وأحيانا يعجبون علنا ـ بالقوة ويرون الحكمة فى الوقوف مع حمامة السلام ! .

بالهوس مثلنا دور الجلاد واقنعناهم انهم الضحية

ونحن ننسى أيضا حتى فى سنة ١٩٦٨ قيمة الرأي العام العالمي التي وعاها وخطط لكسبها حتى هرتزل الصهيوني سنة ١٨٩٠ ، نفكر بصوت مرتفع فلا حجاب بين العقل ـ ان كان عقل ـ وبين اللسان . نعلن حتى عن قوانا الحربية ونوايا الغد ، .. بالهوس غير المسؤول فى الصحف فى الاذاعات ، فى تصريحات الاقطاب او من

نحسبهم الاقطاب ، أعطينا اسرائيل شكل النعجة المقودة للذبح وأعطينا أنفسنا – واهمين – دور الجلاد ! أعطيناها دور رائدة السلام وبقي لنا دور القتلة أو فى أحسن الاحوال دور المعاندين .

ونحن ننسى الى هذا وذاك اننا نتعامل مع جماعة من تعاليم توراتها القدسية والتلمود اصطناع الرياء والمكر وأدهى الخبث ، وانها قد تمرست قرونا بعد قرون ، وفى كل المجتمعات باخفاء النوايا وتصيد المصالح فى السبل الملتوية واتقان الزيف والزلفى ودور المسكين .. ومع ان السلام ليس اكثر من ورقة لعب سياسي – حتى الحق والحرية والعدل وكل القيم الكبرى هي فى ميدان السياسة اوراق لعب – الا أن تخطيطا عميقا واعيا يحكم اللعبة لدى الصهيونيين ، أجهزة التخطيط السياسي تصوغ لها الاشكال وتدير الحملات والمناسبات بحساب وكتاب .

● ما حصل فى مؤتمر ليما البرلماني

منذ شهرين فى ليما فى المؤتمر البرلماني الدولي هناك ، سحق الوفد البرلماني الكويتي وفد اسرائيل سحقا بهجومه المسدد الذى فضح التمييز العنصرى والطائفي اليهودى بالارقام والاحداث. فماذا ترى كان موقف الوفد العدو ؟ وقف المندوب الصهيوني يمتدح العرب .. هذا الشعب الخلاق المبدع ويشيد بالحضارة العربية الرائعة التي حملت الفكر الانساني وحدها عشرة قرون وخدمت البشرية الفا بعد الف بعد الف من السنين.. وانتهى من قصيدة المديح ليقول : أليس من الخير أن نقطع نحن الطرفان المتخاصمان من عرب ويهود ، هذا الجدل المهاتر الذى لا ينتج أي ثمرة وان نوجه جهودنا المشتركة للتعاون والانتاج الخلاق لخير الانسانية ؟ أليس أجدى أن نعمل للسلام والبناء ؟ .

وفى سوق كتلك السوق الدولية ليس من بضاعة تنفق كبضاعة السلام وان تكن كلاما فى كلام .. هي حمار السوق ! باستطاعتك أن تخطف الكرة من أي لاعب ماهر هناك ان استطعت أن تهز للناس شعار السلام ! .

ومنذ شهرين أيضا فى امريكا اللاتينية سئلت زوجة موشيه دايان أكثر من مرة عن النزاع العربي الاسرائيلي فكانت تجيب :

ليس من نزاع أبدا أنا نحب العرب ونودهم .. حين استسلمت الخليل ذهبت بنفسي فزرت العائلات العربيـة التي تربطني بها صداقات قديمة . بعض الزعماء العرب لمطامع اقليمية ومشاكل داخلية يثيرون هذا النزاع العدواني الذى لا نقابله الا بالدفاع وبالدعوه الى السلام والتعاون .. ويلبس زوجها دايان بهذا الجواب اهاب السيد المسيح وينسى الناس ضجيج المدافع والمذابح الاسرائيلية الفاجعـة وسيول المطـرودين بكل فج بمئات الالوف ...

● ما حكاية الحرب عندكم

ويسألونك فى الاسفار ، بكل لغة وكل مناسبة :

ـ أنت عربي حقا ؟ قل لي لماذا ترفضون السلام مع اسرائيل ؟ قل لي ما حكاية الحرب عندكم ؟ قل لي لماذا ترفضون السلام مع اسرائيل ؟ .. قل لي .. الوجوه والالسنة والاحاديث التي واجهتني بهذا السؤال القلق عن السلام لست أحصيها .. هي موكب طويل .. لكنه السؤال الوحيد الذي ظل يدوم كالذبابة الوقحة حول أذني باستمرار .

وبالرغم من الوجه البشع للحرب فقد كنت أجدني قد وضعت دون اختياري فى موقف المبرر للحرب . ومع أن بلادي وأمتى وأهلي هم الضحية فان شكل الاسئلة كان يضعني سلفا فى قفص الاتهام .

وفى معرض الجواب على ذلك السؤال ..

● سلام السارق وعدوان المسروق

كانت تقفز الى خاطري دوما قصة تلك الحيلة التي يقولون ان معاوية كشف بها انقيادية الجماهير اذ بعث برجل الى سوق الابل فوقف عند واحد منها وصاح : جملي ! جملي وقبل أن يفيق صاحب الابل من دهشته كانت النصائح تنهال عليه ممن جمعهم الصياح : أعطه جمله ! اعطه جمله ! وكان الجمل المزعوم ناقة .

كانت تراودني هذه القصة ولكني كنت أفضل حكاية أخرى حكاية اللص الشاطر الذي أحس أن صاحب المال المسروق قد أدركه فى السوق فارتد عليه بالصياح والضرب وهو يستعدي الناس قائلا :

ـ هذا أخي ! أضاع ميراثه وهو يكرهني لمنزلتي وغناي وعلمي فيلحقني بالاهانة والتهديد أمام الناس .

وأنكر المسروق الاخوة المزعومة بالطبع فتباكى السارق :

ـ وتنكر الاخوة أيضا ؟ ألم أحسن اليك سنين طويلة ألم أعلمك وارفع من شأنك ؟ .

وحين قال المسروق فى عجب وأي احسان ؟ وأي شأن ؟ عاد السارق الى التباكي : ـ أنظروا تكران الجميل ! انظروا التهديد والوعيد .. هذا ديدنه . لست أعجب أن يكذب فينكر اخوتي وينكر احساني .. بل لست اعجب أيضا لو ادعي الان أمامكم ان هذا المال الذى فى جيبي كله ماله .. وصاح المسروق والغضب يرقص فى عينيه : ـ ولكنه مالي .. مالي ..

فضحك السارق ضحكة الظافر .

ـ أرأيتم العدوان ألم أقل لكم ؟ ومع ذلك فاشهدوا اني كرمز للاخوة ورغبة فى الاحسان والسلام على استعداد لمقاسمته بعض هذا المال وأمامكم. فاقنعوه ان استطعتم ان يعود الىالعقل والمنطق !

فى نهاية السؤال كنت أفضل أن اداعب محدثي بسؤال : وبعد ؟ هل أنت مع سلام السارق أم عدوان المسروق ؟ . ان اسرائيل تدعونا دوما لان نتفاوض ولكن فى أي شيء .. فى ما ربحته من أرضي وعلى حساب الفواجع فى أهلي وتشريد أخي وموت طفلي الرضيع ! .

خدعة الحرب الوقائية

وليس تعفى الصهيونية شعبها نفسه من الدعوة الخادعة للسلم . انها تمنيه دوما به . تنصب السلم هدفا تبرر به الحرمان التمويني والتقشف وسكن المستعمرات الموحشة ورهبة البطالة بل وتبرر به الحرب . أليست حربا وقائية ؟ كما تبرر الاحتلال .. تنصب السلم هدفا قريبا جدا ويركض اليهود الذين جمعوا من كل صقع،يركضون يركضون، فلا يدركونه . أرأيتم حزمة العشب التي جعلها حمال خبيث فى رأس عصا ثم دلاها أمام عيني حماره فما زال الحمار يركض وراءها ؟ ابنة موشيه ديان اعترفت فى مقال نشر منذ أربعة أشهر ان أقسى أيام اليأس التي مرت باسرائيل انما كانت تلك الاسابيع التي أعقبت النصر فى حزيران. كانوا يأملون أن يصلوا أخيرا الى السلام ولكنهم فوجئوا أن وجدوا أنفسهم حتى فى تلك اللحظات أبعد ما يكونون عنه ! .

● **اسطورة التكنولوجيا ومشاريع التنمية**

وليس تعفي الصهيونية العرب من الدعوة للسلم ، عشرات المقالات قرأتها والعقدة الاساسية فيها تحييد العرب . فيها : ان التعاون يؤمن للعرب المصالح ويوفر عليهم نفقات الجيوش ويمهد لهم سبيل التكنولووجيا ومشاريع التنمية . ثم ان العصر الذى تعاون فيه العرب واليهود فى الاندلس كان من أزهى العصور للطرفين ، ألم يخرج مع مفكري العرب من اليهود ابن ميمون الفيلسوف وابن عزرا ويهوداها ليفي وابن جابر لا .

« ثم انه من الناحية الموضوعية لا يخدم الخلاف العربي الاسرائيلي احدا وليس هناك من يجني منه أية فائدة لا الآن ولا فى المستقبل . . الكل خاسرون . . » كذلك يقول شمعون بيريس الرجل الثاني بعد ديان فى حزب بن غورين . وطبعا لم يسأل الرجل نفسه ماذا يمكن أن يخسر العرب أكثر مما خسروا ؟ ولا أحسبه يمكن أن يعترف بجواب السؤال الاخر : من ذا الذي يستفيد من السلام ؟ .

وانتقل الى النقطة الثانية فى مجال السياسة الخارجية .

والسلام الاسرائيلي فى هذا الميدان ليس اكثر من تكتيك سياسى للمناورة وكسب الثقة . وظيفته ان يكون دخان التعمية قبل وبعد كل عدوان لاخفاء المكاسب الجديدة ! تمضغ الكلمة الف مرة بكل مجال ليكون معناها فى النهاية واحدا : المطالبة باقرار الامر الواقع دون الرجوع خطوة للوراء . . الجنرال بيرنز كبير المراقبين الدوليين عرفهم . كتب عنهم فى كتابه « يريد الاسرائيليون صلحا حسب شروطهم والا فانهم يفضلون سياسة العدوان والتهديد واللجوء الى القوة . . » وهم لا ينكرون ذلك . . افرايم تاري من الخارجية الاسرائيلية يقول : « اسرائيل تسعى دون اية اوليات الى القبول بأي موضوع من شأنه ان يقرب السلم وهي تتمنى اقامة الحوار وتسعى اليه . الا أن هناك مبدأ لن تكلف نفسها عناء المناقشة بشأنه : هو مبدأ حقها فى الوجود وفى الحدود الآمنة . . » اشكول كان أكثر صراحة من هذا الدبلوماسي . لقد صرح فى جريدة لوموند فى مثل هذا الشهر من السنة الماضية : اني على استعداد لمقابلة أي مسؤول عربي فى اي وقت وفى أي مكان . . . ولكن اكد فى الوقت نفسه انه لا يتنازل عن اصبع واحد من أرض اسرائيل ولن يسمح للاجيء واحد بالعودة . بن غوريون قبل الاثنين كان يقول بالف لون القول ذاته « نريد السلام مع جيراننا ولكن لن يكون هذا فى اي

حال على حسابنا » وما حسابهم ؟ هو دوما حساب المكاسب الاخيرة فقط . اما الاولى فسرعان ما تتحول الى حقوق ! ..

ضم المناطق المجردة بالتدريج

كانت الحدود حسب قرار الامم المتحدة سنة ١٩٤٧ هي حدود التقسيم فتجاوزوها الى حدود اخرى سنة ١٩٤٨ ثم اضافوا اليها ـ ومفاوضات الهدنة قائمة ـ منطقة النقب والعقبة . ثم اضافوا اليها خطوة خطوة المناطق المجردة من السلاح على الحدود السورية وفى القدس وفى منطقة العوجة ما بين سنة ١٩٥٠ وسنة ١٩٦١ وسميت هذه الخطوات اعمالا تأديبية كما سميت بالحروب الرادعة تلك الحرب التي شنت سنة ١٩٥٦ وكان من نتائجها امكان مرور اسرائيل السافر فى شرم الشيخ والمقنع فى قناة السويس ، ثم تلك الحرب المدمرة الاخيرة سنة ١٩٦٧ والتي كان من نتائجها ما تعرفون من احتلال لخمسين الف كم٢ من اراضي العرب وما ظل يتبع من مذلة وهوان .. ولينصر الله السلطان ! ..

٦٢٢٦١ قرار ادانة من مجلس الامن

وبالرغم من ان كل خطوة كان يتبعها شكوى الى مجلس الامن وكان يتبع الشكوى نقاش ثم يتبع النقاش نقاش ثم نقاش ثم قرار وادانة الا ان الكسب الواقع كان يبقى دوما والحدود الجديدة كانت تصبح هي الحدود الدائمة ... (٦٢ر٢٦١) قرار ادانة صدر فى مجلس الامن ضد اسرائيل ما بين سنة ١٩٤٩ وسنة ١٩٦٤ ولم يصدر أي قرار ادانة صارخة واحدة ضد اية دولة عربية « ونادرا ما كانت حوادث الحدود مجرد مصادفة ـ كذلك يقول موشيه بريليانت الملحق العسكري الاسرائيلي ـ نادرا ما كانت صدفة انها ـ حسب قوله ـ دوما جزء من سياسة الانتقام وجزء من خطة واضحة لاجبار العرب على قبول السلم مع اسرائيل . ان سياسة الاعتداءات هذه هي نتائج تفكير سياسي وسيكولوجي بارد وغير عاطفي » .

كيف كانت تتم ؟ هل نتصور فعلا ان العالم قد باع ضميره لليهود . لسنا من السخف بحيث نعتقد ذلك ونكتفي به تفسيرا . ان مجلس الامن فى الواقع قد ادان المعتدي عشرات الوف المرات . أما اللعبة فهي عمليات التغطية التي كانت تسبق وتلحق بكل عدوان.

كل هجمة دبرتها اسرائيل فانما كانت تبدأ على النطاق الدعائي والدبلوماسي العالمي ثم كانت تنتهي ايضا بحملة مماثلة فى الختام .. ودخان التعمية هو كلمة السلام . فى عام ١٩٥٨ اصدر بن غوريون كتابا دعائيا سماه (عروض السلام الاسرائيلية) عدد فيه كم مرة عرض فيها السلام على العرب . لقد يستطيع حتى اليوم ان يجد ما يملأ عدة مجلدات من حديث السلام الاسرائيلي ايضا ولكنه لم يتحدث فى ذلك الكتاب ، ولن يتحدث فيما يمكن ان يتلوه من كتب عن سلاسل المذابح والاعتداءات التي كانت تسبق كل عرض للسلام او تلحق به . ان القائمة طويلة فماذا اذكر منها ؟ .

– اعلنت قيادة الهاغانا فى ٢٠ اذار سنة ١٩٤٨ : نحن نمد ايدى الصداقة الحميمة للعرب وفى ٩ نيسان كانت مذبحة دير ياسين .
– فى ١٢ نيسان سنة ١٩٤٨ اذاع المجلس الصهيوني نداء صداقة وسلم الى العرب وصرح : اليهود شعب مسالم يبني اسرائيل بالسلم وفى اليوم التالي ١٣ نيسان كانت مجزرة قرية ناصر الدين التي لم ينج من الذبح فيها سوى اربعين نفرا .

– فى ١٥ مارس سنة ١٩٤٨ اعلن بن غوريون ان اسرائيل تمد يد السلام والعلاقات الطيبة للعرب الجيران وكانت الهاغانا فى ٣ و ٥ و ٦ من مارس نفسه قد ذبحوا سكان بيت دارس وبيت شوري ونسفوا فى جامع قرية الزيتون اهل القرية جميعا مع الجامع فلم يبق منهم حي . ثم فى العاشر من حزيران اعلن بن غوريون انه سيحتفظ بكل ما يحتله ..

– وبعد سنتين مثلا اعلن موشه شرتوك فى ١٩٥٠/١١/٣٠ : لا نجد اي مبرر موضوعي يحول دون السلام مع العرب ، ولكنه فى اجتماع حزب المابام بعد ذلك بأيام كان يقول « انصح حكومة بلادي ان تشن حربا على العرب فانها فرصتنا لتحقيق احلامنا والا فات الوقت لسحق العرب » .

– فى ١٣ مارس سنة ١٩٥٣ اعلن بن غوريون ان اسرائيل مستعدة لتوقيع معاهدة صلح لمائة سنة مع البلدان العربية وبعد اشهر فقط فى ١٩٥٣/١٠/١٤ كانت مجزرة قبية التي تعرفون ومهاجمة صيروف ووادي فوقين ثم بعد ذلك بقليل صرح فى مؤتمر الحزب : اقبل ان اؤلف وزارة شرط استخدام كل طاقاتنا للتوسع صوب الجنوب ! ..

وتمر فى هذه السلسلة الفاجعة مآسي كفر قاسم ونحالين والفرندل وخان يونس وعدوان السويس اياه .. وفى اخر السلسلة تأتي تصاريح اشكول .

– فى ٩ نيسان سنة ١٩٦٤ صرح « آذاننا منفتحة لسماع الكلام عن السلم وفى ١٣ من الشهر اغارت الطائرات على مراكز تحويل المياه فى سورية .. وفى ١٧ مارس سنة ١٩٦٥ صرح : نريد ان نعيش بسلام وعلى علاقات طيبة مع جيراننا وفى ٦ و ١٥ و ١٧ و ١٨ و ٢٢ من الشهر نفسه كانت الجيوش والطائرات الاسرائيلية تغير على سوريا والاردن .

– وفى ١٩٦٦/١٢/١٣ صرح ابا ايبان ان بلاده مستعدة للسلم وانه متفائل حول امكانيات السلم فى المنطقة ، وعقب ذلك الهجوم على قرية السموع وقتل مائتي مدني . ولا أطيل لاقنعكم ولو فعلت اذن كنت افتح ابوابا مفتحة على مصاريعها وانما ذكرت ما يستبين من خلاله فقط التكتيك الاسرائيلي للسلام .

اتراكم نسيتم يا ترى من ذا الذى فى عشية الخامس من حزيران وقف فى القدس على اشلاء المحروقين بالنابالم ، وبعد ان قتل واحتل يقول : هذه يدي ممدودة للسلام وهذا هاتفي انتظر عنده اي مكالمة عربية للسلم ؟ من عادة افعى البوا الضخمة ان تبتلع فرائسها ابتلاعا وتتكور الفريسة فى جسمها ، فتخلد الى السكينة والنوم ريثما تهضم ما افترست ثم تسعى لافتراس جديد ! ضخامة الوجبة التي ابتعلتها اسرائيل سنة ١٩٥٦ هي التي جعلتها تتقيؤها وضخامة الوجبة المبتلعة فى هذه الضربة الاخيرة ضربة حزيران هي التي جعلت من العسير تغطيتها بالف تصريح للسلام ، هي التي احفت قدمي ايبان حتى اليوم بين شرق وغرب وهرأت منه اللسان شقشقة وتخريجا ولفا .

ما معنى وما قيمة السلام

هل اريد ان اقول ما تعودنا قوله وقراناه من ان اسرائيل كاذبة فى دعوى السلام ؟ هل الدعوة الصهيونية للسلام هي مجرد حديث ديماغوجي للاستهلاك الدعائي ثم لا جدية وراء ذلك ولا فائدة ؟ ان الجواب على هذا السؤال ينقلنا الى النقطة الثالثة من الحديث :

نقطة معنى السلام ، وقيمة السلام لاسرائيل .. واني لازعم انه ما من جماعة تهفو الى السلم وتنتظره وتتمناه ، قدر هذه الجماعة الحاشدة فى فلسطين . وازعم اكثر من هذا انه ما من جماعة تعرف كم تفيد من قيام السلم فى المنطقة ، تحسبذلك باستمرار : ويشتغل عقلها الحاسب وجيبها المنتظر بثمار السلم قدر الجموع اليهودية فى اسرائيل .

وهم هذا التناقض الذى ترون بين هذا التأكيد القاطع هنا وتلك المقارنات التي تفضح المكيافيلية الصهيونية قبل قليل ، هذا الوهم ليس الا التناقض الظاهرى .

ان السياسة موضوعة جدلية معقدة واصحاب المنطق المبسط فيها مثلنا او النظرة الخلقية او الهندسية وابناء الرقم والخط المستقيم هم اول الضحايا .. الف نغم تضرب اسرائيل فى اوركسترا سياستها لتصل الى الايقاع الذى تريد . ومع ذلك فما هو التفسير لذلك التناقض .. انكم ان تذكرتم السبب فى وجــود اسرائيل عرفتم الجواب .

هل عاد اليهود حقا الى فلسطين ليكونوا احرارا فى البكاء عند حائط المبكى ؟ ليبنوا كنيسا لم يمنعهم من بنائه احد ؟ ليقيموا متحفا لارثهم من التلمود واللغة العبرية والشمعدان ؟ ثم هل الهوس القومي خالصا لوجهه ، هل مجرد بناء دولة ومد حدودها من الفرات الى النيل هو الغاية ولا شيء قبلها ولا شيء من بعد ؟ هل مجرد اضافة اسم اسرائيل الى قائمة الامم المتحدة هو ما بذلوا له الاموال والجهد منذ سبعين سنة الى اليوم ؟ .

● نقطة الانطلاق نقطة اقتصادية

ان يكن شيء من هذا او من ذاك حقا .. وقفنا ها هنا وان يكن الامر فى الخلفيات العميقة مصالح واستثمارات اقتصــادية واستغلالا للمنطقة كلها اذن فمن هذه النقطة فى الواقــع يجب ان ننطلق .

ان اسرائيل مشروع اقتصادي قبل ان تكون وطنا قوميا او موئلا دينيا اخيرا . هي عملية استثمار كبرى ليس الدين فيها ولا الجموح القومي سوى حلى الزينة واستار المسرح وصنانير الصيد ، اما طموحها الاعمق فهو خلق مركز فى الشرق الاوسط لاستثمار هذا

الشرق ، الرساميل التي تتدفق عليها انما تنظر الى ما وراءها ، المعامل التي تبنى فيها فانما تبنى على مقياس الشرق كله . والعلاقات التي تبنيها فانما تمتد الى ابعد بكثير من امكان دولة صغرى كاسرائيل . حتى المشروع الذري فيها فانما ترتبط اهدافه باوسع من مدى الحدود الفاصلة بينها وبين العرب ..

ولئن كانت هذه المعطيات واضحة مكرورة فان النتائج التي تترتب ليست لدينا مثلها فى الوضوح . لكى تكتمل عناصر الحياة لاسرائيل . يجب ان يتكاثر اليهود عددا فى رأس الجسر الذى افتتح ، ويجب ان يرتفع مستوى الخبرة والتكنولوجيا فيها الى الحد الاعلى . ويجب ان تجتمع الرساميل الضخمة وتبنى المعامل على مستوى المنطقة كلها . ويجب اخيرا ان تجد السوق وقد حصل هذا كله .. كله الا شيئا واحدا لم يحصل بعد لان سدا من الحقد يقف دونه : السوق ! الاسواق التي تطوق رأس الجسر كلها مغلقة .. فيجب بكل وسيلة ان تفتح بالحرب او بالسلم طوعا او كرها يجب ان تجد البضاعة الاسرائيلية طريقها للتصريف .

المعادلة العبقرية

موسوليني كان يقول فى حالة مماثلة : عندنا اربعون درجة من الحمى يجب ان تمتد او تنفجر اما هؤلاء فينادون بالسلام ويتكلمون لغة اخرى . مستشار وزارة التجارة والصناعة هناك كتب منذ اشهر حول المقاطعة الاقتصادية العربية يقول : فى كتاب « دافيد كوبر فيلد » لديكنز كان السيد ميكاوبر احد شخوص القصة يصوغ هذه المعادلة العبقرية :

الدخل ٢٠ ليرة المصروف ١٩ ليرة و ١٩ شلن و٦ بنسات = سعادة .

الدخل ٢٠ ليرة والمصروف ٢٠ ليرة و ٦ بنسات = تعاسة .

ويعلن الكاتب على ذلك بقوله : هناك قسط كبير من الحقيقة فى معادلة ميكاوبر فمبلغ صغير نسبيا يكفي غالبا للانتقال من السعادة الى التعاسة ، وما هو حقيقي بالنسبة للناس حقيقي ايضا بالنسبة للدول فنسبة ضئيلة من الانتاج الوطني تكفي للانتقال من الركود الى التقدم ..

ان المشروع الاسرائيلي لا يحتاج الى عقل الكتروني لكشف اغراضه وفوائده . انها محسوبة بالفلس لديهم وبالبنس حساب ذلك العقد الذى اشتراه يهودي لزوجته بالفي دينار ثم تحدث مع عمي فى احدى الحفلات فقال له . هل تعلم ان هذا العقد يكلفني فى كل مرة تضعه زوجتي فى عنقها ما بين خمس وعشرين الى خمسين دينارا .. بلى ! انها تتحلى به ثلاثا او اربع مرات فى السنة فقط فلو اقرضت المال بفائدة ١٠ بالمئة لكان لي منه مائتا دينار ولو تركته فى البنك لكان منه مائة دينار على الاقل ولو اشتريت اسهما .. ولو شاركت فى صفقة كذا .. ولو .. ولو .. ! لولا اقتران الفوائد المادية بالذكريات الدينية والاحلام القومية لليهود الاشكنازيم لما ظهر المشروع الاسرائيلي للوجود . الامل الاستعماري القديم باستثمار موارد البلاد المتخلفة ما يزال فى اسرائيل هو السبب الاعمق وعلة الوجود وهدف الغد ! .

● مواد اوليه وخبرات اسرائيلية

شاؤول زارحي احد خبرائهم الاقتصاديين كتب منذ اقل من سنة فى دراسة طويلة : فاسمعوا وضعوا الخطوط تحت كل كلمة تشاؤون « ان السلام العربي اليهودي ومشاركة اسرائيل فى التطور الاقليمي من شأنهما ان تعدل الوضع بفضل ايجاد ظروف افضل لتطور الصناعة الاسرائيلية . مشاركة كهذه تفتح سوقا واسعة لاسرائيل سوق عشرات الملايين من سكان الشرق الاوسط . وتحل اسرائيل مشكلة فقرها النسبي بالمواد الاولية بوضع مقدرتها التكنية ورساميلها بتصرف البلدان العربية . وتحل اسرائيل مشكلة المياه بذلك وتعرف التجارة نشاطا هائلا فى ميدان الترانزيت والمبادلة ، وتنصرف النفقات العسكرية لاستثمارات مضاعفة ويزداد ادخارها العام بشكل ملحوظ .. باختصار ـ كما يقول دوما ـ ان السلام ومساهمة اسرائيل فى الاقتصاد الاقليمي يساعدان بشكل واسع على حل معظم المشاكل الاساسية لاقتصاد اسرائيل .. هذه المشاكل التي طرحت نفسها فى السنوات الاخيرة فى وقت يدخل فيه هذا الاقتصاد مرحلة حساسة فى تطوره لهبوط تدفق رؤوس الاموال . وهبوط العوامل الخارجية الاخرى للنمو .. » ولعل من الدلالات المعبرة ان لا يبقى حزب او تجمع حزبي فى اسرائيل الا ولديه مشروعه

الخاص فى السلم وفى الطريق اليه .. وفى التعاون الاقتصادى من بعده مع العرب . دعونا ان شئتم نستق المواقف والاراء مباشرة من اصحابها :

منهج الاحزاب الشيوعية متقارب

الشيوعيون ـ ولنبدأ من اقصى اليسار الذي يفترض ـ طبقا لمبادئه ـ ان يكون لا قوميا ولا دينيا اي لا صهيونيا شوفينيا اعمى ولا يهوديا بسوالف طويلة وبنسخة من التلمود .. قلت : الشيوعيون بفرعيهم الصينى والسوفياتى لهم مشروعان لا يختلف أحدهما ، منذ التحليل الاول عن الاخر . « ماير فلنر » زعيم الميالين للعرب ـ (بولوني . خمسون سنة . سكرتير الحزب الشيوعي راكا ـ منذ سنة ١٩٦٥) وموشيه شنه الزعيم الاخر (بولوني . ستون سنة . طبيب . رئيس الهاغانا منذ عام ١٩٤١ حتى عام ١٩٤٦ نائب دائم حتى عام ١٩٦٥ سكرتير الحزب الشيوعي ماكي رئيس تحرير جريدة قول ها عام ، كان من المابام) ـ كل منهما كتب قبيل حزيران بقليل برنامجا للسلام ولخصه بنفسه ايضا بثلاث نقاط :

الاعتراف بوجود اسرائيل والاعتراف بحق اللاجئين فى العودة و . . والتعاون بين البلاد العربية واسرائيل على استثمار المياه. وانتاج الطاقة الكهربائية والمرور الحر فى البحر وفى الممرات المائية واستغلال الثروات المعدنية على النطاق الاقليمي .. و (فلنر) و (شنه) يعترفان انهما يلاقيان الصعوبات الجمة فى اقناع الراى العام الاسرائيلي بالبرنامج .. ان المرفوض فيه هو فقط عودة اللاجئين ! ..

حزب المابام

حزب المابام وهو الحزب الاشتراكي اليساري سكرتيره العام ماير ياري (بولوني عمره سبعون سنة عضو الكنيست وعضو لجنة الشؤون الخارجية والامن) عرفه بانه صهيوني ماركسي . وهذا الزعيم نفسه حدد برنامج السلام ، حسب راي حزبه : فى نقاط خمس : محادثات مباشرة لحل مشكلة اللاجئين ويقبل قسم منهم فى فلسطين ، واتفاق مشترك لنزع السلاح الذري من الجانبين ثم نزع السلاح الكامل ، شراكة فدرالية ثم تحقيق تفاهم اقتصادي مع الاردن واخيرا : احلال المساواة بين العرب واليهود فى اسرائيل !

الصهيونية العالمية

اما رأي الصهيونية العالميـة فكتبه غولدمان ـ رئيس هذه المنظمة ـ نفسه . اقترح تشكيل نوع من الكتلة او الاتحاد الفدرالي بين دول الشرق الادنى تدخل اسرائيل طرفا فيه . . ان اسرائيل ـ كما يضيف هو نفسه ـ لا تستطيع ان تعيش قلعة محصنة الى الابد كما ان سعي العرب لتدميرها يحرمهم التنمية فعلى الطرفين الاتفاق للتعايش والتعاون واقامة حضارة عبرية وحضارة عربية فى المنطقة وهذا يحل قضية اللاجئين .

حركة القوى الجديدة

رأي اخر قدمه صحافي هجومي ونائب وصاحب حزب جديد فى اسرائيل اسمه حركة القوى الجديدة . (هو اوري افنيري ـ من يافا ٤٥ سنة مختص بالشؤون العربية كان فى ارغون وحارب عـام ١٩٤٨) انه يقترح ويدافع عن انشاء دولة ثنائية عبرانية عربية فى فلسطين ويقول « نحن الراغبون فى السلم » نعترف بشيء اسمه الامة العربية الفلسطينية يجب ان يتم الصلح معها ويتم بعد ذلك التعاون الاقتصادي بانشاء وحدة اقتصادية تفتح الحدود وتنتهي بنظام فدرالي ، اما اللاجئون فيرجع بعضهم على دفعات وتمـول مشاريع توطينهم باموال دولية ، اما مع الدول العربية فالرجل يقترح : طرد الملوك الدخلاء والرجعيين المحليين ، والتنمية المشتركة للمنطقة بتعبئة مثقفي البلاد العربية واسرائيل للحاق بالامم الصناعية وتنظيم اقتصاد مخطط يستخدم هذه السـوق الهامـة (الشرق الاوسط) ويستغل ثروات « بلادنا » ـ على حد قوله ـ النفطيـة والمعدنية وذلك باستخدام علاقات اسرائيل الدولية ، وتعبئة يهود الخارج لتنمية المنطقة كلها !. .

شمعون بيرس سكرتير حزب بن غوريون (٤٥ سـنة روسى سكرتير الهستدروت ، نائب : اشترك بالهاغاناه المدير العام لوزارة الدفاع عام ١٩٥٦ سكرتير عام رافي منظمة برنامج التسلح والتسلح الذري) هذا بدوره لخص رأي اصحابه بأن يوم السلم يتحقق حين يقوم اتصال مباشر بين اسرائيل والبلاد العربية ، والطريق الى ذلك أن نترك السياسة لانها تقوم على الحقد وان نتبنى تكتيك جان مونيه الذي عمل على ايجاد السوق الاوروبية المشتركة . يقول بيرس :

كان هدف مونية هو ايجاد اوربة متحدة وحين قابلته قال لي : لو اني بدأت باعلان هذا لحكمت على المشروع بالموت . ولقد اخترت بكل وضوح الاطار الاقتصادي الذي سيؤدي للنتيجة نفسها ويعلق بيرس قائلا . هذا ما يجب تطبيقه فى وضع الشرق الاوسط ! ان مساهمة غير مباشرة فى الميدان الاقتصادي بوسعها ان تساهم مساهمة قيمة فى اسقاط ستار الكره وفى احلال السلام !

على ان بيرس لا ينسى ان يشدد على ضرورة تنمية الامكانات العلمية لاسرائيل بغية اقناع العرب بعدم جدوى التفكير بمحو اسرائيل بالقوة العسكرية ! .

أما الحزب الاساسى الحاكم فدعوني أؤجل الحديث قليلا حول مشاريع سلامه لاعيد النظر معكم فى هذه القائمة من المشاريع وتصورات السلم ، ماذا تراكم ملاحظين فيها ؟ انها جميعا الحاح مستمر حول الهوس الاول والاساسي : « السلم » .

ثم انها جميعا الحاح واحد مكرر على الاستغلال المشترك لثروات المنطقة وهي اخيرا محاولة لالغاء الطابع العربي للشرق الاوسط .

اهي صدفة ان يتفق الشيوعي والصهيوني الزميت حول هذه النقاط الثلاث ؟ اهوتوارد الخواطر البريء أن يلتقي اقصى اليسار وأقصى اليمين فى أهداف واحدة أم أن كل الطرق تؤدي الى روما . وروما هذه هي استثمار المنطقة العربية ؟

● الدولة والسلم وايهما اسبق

كان بن غوريون يناقش مرة الدكتور ماغنس رئيس الجامعة العبرية قبل قيام اسرائيل . وقد لخص ماغنس الخلاف مع صاحبه بقوله : انت تطلب الدولة أولا ثم السلم وانا اطلب السلم ثم الدولة . كان هذان الهدفان هما موضع الخلاف قبل عام ١٩٤٨ وقد تحقق راي بن غوريون فانشئت الدولة .

ويعلق شمعون بيرس على هذا بقوله : « لقد وجدت الدولة وعلينا ان نسعى الان الى السلم » لهذا فاسرائيل الان بمن فيها : سعي متصل الى السلم ، على اختلاف فى السبل والوسائل ، ولكنهم بالطبع لم يستطيعوا الا ان يحددوا بوضوح الهدف التالي بعد السلم الاستثمار الاقتصادي .. وفى هذه المرة لم يكن بينهم اي خلاف !

روبير مزراحي : الصهيوني الاستاذ فى السوربون : لخص الموقف الحالي بعدة كلمات فى مقال كتبه منذ فترة قريبة قال « من هـذا الميثاق : اعتراف ومعاهدة صلح تتبعها علاقات اقتصادية تنشأ الصداقة المثالية ويقوم السلم » .

ولقد يقفز من الصفوف بينكم سائل يقول : وبعد هذا الحديث الطويل الثرثار : انا لم نصل بعد الى حل التناقض بين الرغبة الملحة فى السلم وبين الواقع الدموي الحربي .. كيف نصدق رغبتها فى السلام ودباباتها فوق صدور الاطفال ، والنابالم تحرق الزرع والشاة ووجه الصبية عند العين ؟ آلة الحرب الاسرائيلية هى واقع أكيد بكثير من أن ينفيه انسان أو لا يراه انسان ؟ .

● السلم والحرب عندها طريقان لهدف واحد

الواقع ان هذه الحرب الاخيرة وحرب ١٩٥٦ قبلها ، وعشرات الالوف من المذابح والضربات العدوانية فيما بينها لم يكن لها من هدف آخر سوى الوصول الى اقناع العرب بالتعاون الاقتصادى المأمول ! السلم والحرب عند اسرائيل طريقان الى غاية واحدة هي الوصول الى الاستغلال الاقتصادى للمنطقة العربية هما طريقان متكاملان يتناوبان لجباة الصهيونية المدبرة . حربا أم سلما نريد استثماركم ! هذا هو الشعار .. والهدف الاخير .

● مسلسل الحقد والحرب والحقد

ان اسرائيل الدولة تعبير عن حالة حرب .. انها تعيش حالة التوتر الحربي وعلى الرضاع الحربي منذ عشرين سنة وهي تمارس الحرب لانها يائسة من السلم الذى تتمناه .. تعيش الحالة الاستثنائية وتستغلها لانها حتى الان غير قادرة على العيش الطبيعي السوى .. تحاول الحرب للوصول الى السلم فتدخلها الحرب فى دوامة من الحقد تبعدها اكثر فأكثر عن امكان السلم وتدور الحلقة المفرغة : حرب تؤدي الى حقد وحقد يؤدي الى حرب اخرى .. وهكذا واسرائيل الآن فريسة انتصاراتها فى هذه الحروب والعدوانات المتتالية ، انها تلجأ الى الحرب لانها المنفذ الوحيد لديها ـ كما لدى أربابها الراسماليين ، وراء البحر ـ للخلاص من البطالة المتزايدة ولتشغيل المعامل التي تتوقف وتحريك رؤوس الاموال واجتذاب

العطف والمهاجرين والشباب وتدفق المعونة والهبات والقروض .. وتنتصر فاذا بها أمام كسب جديد يسمح لها من جهة بالعيش فترة على مغانم الحرب ما دامت لا تستطيع العيش على الثمار الطبيعية للسلم ، ويؤكد لديها من جهة أخرى وهما متجددا بأن هذا الكسب الجديد يزيد من امكانها فى الاستثمار الحالي وفى فرض السلم ثم فى استغلال السلم من بعد !! .

● بن غوريون : الحرب حتمية

منذ عام ١٩٤٨ توطد لدى الصهيونية فى اسرائيل وهم كان يقول به دوما بن غوريون : القوة هي الطريق وان الحرب حتمية مع العرب ،والعسكريون الذين قدموا لدولة تل أبيب كافة انتصاراتها المتتالية تركوا لدى جمهرة اليهود فى اسرائيل قناعة كاسحة تداوي فى الوقت نفسه التفكك الاجتماعي وشتات القادمين من كل فج بأن سبيل الاستقرار انما هو القوة الساحقة : حزب الماباي الذى قاد الفترة منذ عام ١٩٤٨ وضع له بن غوريون هذه السياسة التقليدية فما يتعداها الى اليوم . ان اغراء القوة فى احوال الخوف والشتات القومي لا يقاوم . حتى الاطفال فى المدارس علموهم الحقد على العرب .. فكلمة عربي لديهم سبة . وقد دل احصاء قام به بعض علماء الاجتماع أن ٦٠٪ من ١٠٦٦ طالبا بين عمر ٩ ــ ١٤ أيدوا الافناء الكلي للعرب ، وفى الجيش ؟ نشرت جريدة هاآرتس تحقيقا تضمن الحوار التالي بين جندي اشترك فى مذبحة كفر قاسم وضابط سأل الجندي :

ــ ماذا نفعل بالاطفال والنساء .

فأجاب الضابط : يعاملون كالاخرين بدون رحمة

ــ ماذا نفعل بالجرحى

ــ لن يكون ثمة جرحى .

ــ ماذا نفعل بالسجناء

ــ لن يكون ثمة سجناء

زعيم حزب حيروت مناحيم بيغن ــ (بولوتي ٤٦ سنة قائد الارغون نائب فى المجلس ، مسؤول أول عن المذابح) ــ يلخص موقف

حزبه بكلمةيستعير اطارها من « ديكارت » : وبدلا من الكلمة الحضارية المشهورة : أفكر فأنا موجود يقول كلمة الوحش : اقاتل فأنا موجود ! حتى فى الكنيست قدم فى ٩ حزيران سنة ١٩٦٦ مشروع قرار شيوعي يقول : ان الكنيست يؤمن بالسلام كحل وحيد للنزاع العربي الاسرائيلي ويناشد الحكومة أن تعمل بهذه الروح فرفض المشروع بأغلبية (٤٣) صوتا ضده واستنكف (٣٢) عن التصويت

وحتى فى الشارع نشرت الرسالة الاخبارية اليهودية فى اذار عام ١٩٥٦ مقالا قالت فيه : الناس يتعمدون تجنب الحديث عن الحرب لكنها كامنة فى الهواء .. فى الاعصاب المشدودة والمتوترة لراكبي الباص ما أن يتركوا المدينة ، فى التوتر المكبوت فى الشارع ، فى الشوفينية العدوانية فى تأليه الذات التي تجعل الاسرائيلي العادي أعمي ، فى ارتفاع حمى العدوان ، فى الاستعداد العسكري الفعال فى كل المجالات . ان الحكومة الاسرائيلية تقود المواطنين الى حرب حتمية .. كذلك قالت النشرة لقد اتخذ هذا الاتجاه لنفسه صورة (العقبان)أما الآخرون دعاة السلم (فحمائم) . ان ميزانية الحرب قد تضاعفت ـ فى الارقام المعلنة على الاقل ـ منذ السنة الماضية مرتين بلغت ٨٠٠ مليون دولار أي ٦٥٪ وتحول الكثير من الصناعة الى الانتاج الحربي : موشيه كاشتي مدير وزارة الدفاع وصاحب برامج التسلح قال منذ اسبوعين فى مجلة تايم : كنا نشتري الطائرات من فرنسا ونصنع لدينا القمصان ويظهر انه من المنطقي أن نصنع الطائرات ونشتري القمصان من فرنسا .. » .

من هذا الموقف فى الواقع ينبع موقف حزب الماباي الحاكم وينبع الموقف السياسى الاخر للقضية فى آخر مراحلها .. ان مشاريع السلام التي تقدمها الحكومة الاسرائيلية من خلال سفسطائية ابا ايبان ولعبه المتقن بالالفاظ لفا ودورانا يمكن أن يكون البرهان الملموس على هذا كله .

مشروعه الذي قدمه من تسع نقاط لا يحوي اكثر من ثلاث :

اعترفوا بنا كما نحن فى النصر الاخير ، حلوا عندكم قضيــة اللاجئين ، ثم افتحوا لنا الشرق الاوسط نمر ونستغل .. رسالته التي أرسلها منذ اسبوعين الى يارينغ ليس فيها شيء آخر .. النقاط الست التي قدمها همفري الامريكي ، اجير الصـــهيونية الثاني فى البيت الابيض لحل الازمة اربع منها اقتصادية وابرز الاربع : حرية المرور الملاحي واستخدام موارد الشرق الاوسط !وبالرغم من أن هذه الصفحات التي مضت ثرثرة وتطويلا تشكل ايضاحا كافيا للخلفيات الاقتصادية الكامنة فى الموقف فان ثمة نقطة باقية يمكن أن تختم الحديث :

فيم هذا الالحاح الذي لا يتراجع على المفاوضات المباشرة ؟ أهو العناد فقط ؟ أهو مجرد الرغبة فى ارغام العرب على توقيع الصلح؟.. المتفائلون الذين يظنون هذا احسدهم على هذا التفاؤل .. لو رجعتم معي قليلا الى الوراء وتساءلتم عن السبب فى حرب حزيران لانكشف الموقف كله !.

تلك الحرب كانت حتمية كالقدر من سنة ١٩٦٥ خاصة . لو كلف احد من العرب نفسه النظر فى الخطوط البيانيــة والارقــام الاحصائية لعامين اثنين من تطور اسرائيل قبل تلك السنة وبعدها لرأى الحرب بعينيه ، ولا حاجة لعيون الانبياء والمنجمين ! لو كلف عربي ذاته مشقة البحث فى احصائيات اسرائيل سنة ٥٤و٥٥ و٥٦ . لرأى قبل ان تكون حرب السويس حرب السويس ! تلك الارقــام الصماء تنطق كمخططات القلب والدماغ بين يدي الاطباء ولكن .. لقوم يفقهون ! قل سيروا فى الارض فانظروا !

كان الوضع الاقتصادي السياسي العام فى اسرائيل منذ عدة سنوات يعاني من ثلاثة متحولات كلها ضد مخططاته :

ا ـ تدهور فى الاموال الاجنبية القادمة للتوظيف لاسرائيل فى الوقت الذي استحقت فيه اقساط عدد من الديون ، ونقصت كمية التعويضات الالمانية وأموال الهيئات الامريكية .

ب ـ تدهور فى الهجرة نزل بأرقامها التي اضحت سرية الى ٢٥ ثم الى ٢٠ الفا يقابلهم هرب ١٢ الفــا من الفنيين المختلفين ومثلهم عددا ممن يستأذنون بالسفر للسياحة ثم لا يعودون ، وهبط التزايد الاسرائيلي من ٤ أو ٣٪ الى ٥ر٢٪

ج ـ واخيرا الحاجز الذى وقف مع ظهور السوق الاوروبية المشتركة فى وجه الانتاج الاسرائيلي .. فعطل هذا الانتاج ..

وحين اتضح أن لا أمل فى أن يتغير سير أي من هذه التحولات نحو الصعود فى المستقبل تبين أن المشروع الاسرائيلي كلهدخل مرحلة خطيرة من عدم التوازن . وبدل ان تتحول اسرائيل بعد خمس عشرة سنة من وجودها الى مركز استثمار واسع أضحت كالبرميل الذى أمرت الآلهة بنات دانائيد بملئه عقابا لهن وهو دون قعر ! أضحت مشكلة اقتصادية غريبة بدل أن تصبح مورد رزق للرساميل الغربية ـ اليهودية المشتركة . هذا بينما كانت التنمية العربية ولا سيما فى مصر تأخذ طريقها الصاعد ، والتسلح يأخذ حدوده القصوى. كان لا بد اذن من ايجاد حل للقضية المعروفة باسم فلسطين كي يستطيع الاقتصاد الاسرائيلي الاستقرار . او هو الدمار ! وتطوعت الاجهزة العسكرية والاقتصادية للعمل : كل ما لدى حلف الاطلسى من أسرار وضعت تحت تصرف المخابرات الاسرائيلية وكل القوى وصلت وأخذت أماكنها من اسرائيل وكل الترتيبات الاعلامية اتخذت بل والخطط العسكرية الكاملة ايضا .. جرت الدراسات عليها فى المعاهد الامريكية العسكرية ..

وقبل أسبوع من حرب حزيران ، وبحضور الرئيس الامريكي وقائد الجيش الامريكي ورئيس المخابرات الامريكية وفى واشنطن اطمأن الجميع الى نجاح الخطة واعطى النور الاخضر للتنفيذ .

وانتصرت اسرائيل النصر العسكري الساحق ثم أعقبته باتفاق القوى الكبرى فى العالم بنصر سياسي ساحق ! بلى ولو أبينا ، انتصرت انتصارا أفجع واقسى من انتصارها النارى هو نصر السياسة بذلك القرار من مجلس الامن الذى صلى عليه بعض الحكام منا وسلموا ! النصر العسكري والسياسي كلاهما ظلا من جانب واحد اهم منهما ليس التوقيع على الهزيمة ولكن تحقيق الهدف الاساسي من الحرب، وهو أن تقف اسرائيل أخيرا بقواها الذاتية أي باستثماراتها وانتاجها الخاص : أن يلغي من القاموس السياسى اسم القضية الفلسطينية وأن يحل بدلا منه سلام يقيد العرب فلا يحيرون ويترك لاسرائيل فى

الوقت نفسه مجال استثمار المنطقة وسبيل العبور فى ظل الامن الابدي .. هذه كانت غاية الحرب فان لم تصل اليها فانها ماانتصرت ولا عملت شيئا .. راقبوا ماذا احتلت ..

احتلت سيناء ليكون لها ان تفرض حق المرور فرضا على جانبيها من قناة السويس وفى تيران وان تستثمر البترول الذي تحتاجه وان تهدد الشاطىء السعودي وتراقبه. احتلت الضفة الغربية لتأخذ المتسع الكافي أو المتمم من الارض التي تغري بها المهاجرين الجدد .ان هؤلاء ليسوا من الحمق بحيث يتركون أفياء الدنيا ليأتوا للعيش مع بن غوريون فى النقب ! واحتلت الجولان أخيرا .. ! فهل كان ذلك لسبب استراتيجي كما قد نزعم ؟ انما احتلتها لان فيها منابع الاردن التي تحل مشكلة المياه نهائيا فى اسرائيل ولان فيها انابيب التابلاين التي تنقل البترول السعودي الى المتوسط وأما الموقع الاستراتيجي فقدتبين أنه لا وزن له ما دامت قد استطاعت تجاوز حصانته وحصونه التي دعمت عشرين عاما فى ساعات !! .

حتى الاحتلال اذن كان ضمن المخطط الاقتصادي الذى تقف وراءه الاحتكارات والرساميل اليهودية الغربية واذا كانت اسرائيل تلح فى المفاوضة المباشرة فمن المضحك أن نظن انها تريد فقط تأييد نصرها بتوقيع واعتراف ، انها ما كتمت أبدا انها تريد ما وراء ذلك: تريد الانطلاق الاقتصادي فى المنطقة كلها بدءا من مصر .. كبرى القوى !!

ان اسرائيل بكل تأكيد لا تريد حربا اخرى حتى ولو منتصرة . أن تجاوزها الاطار الحالي يفوق امكانها البشري والاقتصادي ويضعها اخر الامر ومهما كانت قواها العسكرية والاقتصادية امام نزف حركات التحرير ، ولا تريد حربا أخرى ولو منتصرة لانها لا تريد أن تنتظر فى صورة الدخيل غير الشرعي ، تشكل الجيل المنتقم المقبل وتكامل الوعي والتنمية العربية ، ولا تريد حربا أخرى لان هذه الحرب ولو منتصرة ــ ستكون الدليل الاخير على ان المشروع الاسرائيلي ــ الاستعماري الذي لم تثبته اربعة حروب .. فاشل فى الطريقة وفى امل الاستثمار الواسع ، على اني مع ذلك واثق من أن اسرائيل تفضل الحرب على سلم لا يرتبط به نصر اقتصادي يتممه . لانها ما حاربت من اجل السلام فقط ولكن من اجل ضمان الاستثمار الهانيء .

وفى هذه المرة فانها لن تنتظر بكل تأكيد عشر سنوات .

● خيام اللاجئين مراكز سياحية وماساتهم مادة للخطب والانقلابات

من خلال هذا هل انكشف اذن لماذا تحاول احتلاب نهرها الحالي حتى الثمالة ؟ فيم تريد ان تصل من مركز القوة وبالضغط الدولي والآن بالذات الى قبول الشرق العربي بوجودها ، وباغتصابها للارض وباستثمار المنطقة ؟ تلجا الان بالذات قبل أن يتشكل الجيل المنتقم القوي ؟ الصهيونية التي لم تحسب حساب العرب ابدا ، كميات مهملة اعتبرتهم وخاطبت جميع الاطراف عداهم قبل الحرب العالمية الثانية ، اضطرت منذ سنة ١٩٤٨ الى أن تعترف بهم أمامها .. ومع ذلك فقد لعبت لعبتها .. فلم تعترف بأصحاب الارض انفسهم لقد دبرت لهؤلاء مصير الهنود الحمر .. فمن استطاع منهم الفرار فهم مجرد لاجئين . خيامهم مراكز سياحية ومأساتهم مادة للخطب السياسية والانقلابات ، اعترفت اسرائيل فقط بالدول العربية والتقى عمى الساسة العرب مع بدائية الفكر السياسى العربي فاعطيا هذه الفرصة الذهبية لاسرائيل !

أبعد أصحاب الارض الى العتمة ، فلم ينظر احد فى العالم الى القضية ولا نحن عرضناها على أنها حرب تحرير ولكن على انها خلاف بين دول .. وخلاف الدول تتولاه الامم المتحدة !

وسنة بعد سنة فى موسم أيلول كنا نرجع من هناك ونحن نمسح عن جباهنا عرق الجهاد بأوراق الخطب الطنانة .. نصر على أن نرى فى هيئة الامم الحكم فى مباراة كرة مع انها ليست أكثر من يارينغ الذي يدور على الابواب

ان كانت اسرائيل قد حاربت عام ١٩٦٧ وتحاول الان على حوافي الجهد والمماطلة أن تستثمر هذا النصر فلانها شعرت لاول مرة ان مقاومة جدية تتشكل . ان الجيل الذى كانت تحسب ان المخيمات قد افترسته قد وقف على قدميه للثأر ولهذا يجب ان تخرس الدول العربية الان وأن تفتح ارضها فورا للاستثمار .. ليختنق الثائر الوليد !

أبا ايبان فى رسالته الاخيرة الى يارينغ قال : السلم ليس كلمة مجردة ولكنها عمليةصنع السلام. وهذه العمليةتتضمن مع الاعتراف بالسيادة المتبادلة ايقاف كل تدخل بحري وكل اجراء للمقاطعة وكل ضغط على طرف ثالث وعدم تنظيم أو تسليح الجماعاتالفدائية والقبول بالتزامات ميثاق الامم المتحدة بالتعاون الاقتصادى والثقافي والدولي ..

هل افسر لكم هذا على صورة أخرى ؟ لن أكون أبلغ تعبيرا من ميخائيل شيفر : خبير وزارة التجارة الاسرائيلية هناك الذي حسب فى بحث طويل منذ سنة نتائج التعاون العربي الاسرائيلي وسال لعابه للارقام التي ظهرت والتي يخسرها الاقتصاد الاسرائيلي بسبب القطيعة . يكفيني من كلامه قوله انه يقترح كصورة للتعاون تدفقا من اليد العاملة العربية للعمل فى القطاع اليهودي وتدفقا مقابلا من الراسمال الاسرائيلي يوظف فىالدول العربية ... بلى !بهذه البساطة والبراءة هو التعاون !

هل تذكرون الاستعمار القرنسي للجزائر ؟ هل كان الا هجرة عمال جزائريين الى فرنسا وهجرة رساميل ومستعمرين الى الجزائر ؟ اذن فهذا هو المصير المنتظر وهذا هو معنى السلام ؟ الم اقل لكم منذ البدء . السلم يعني وجود اسرائيل ولاسلم يعنى لا اسرائيل ؟

النضال او الموت

مع كل ذلك فان الكلمة الاخيرة تبقى للعرب للطليعة المناضلة من العرب . تبقى للفدائي الذى :

« أثبتفى مستنقع الموت رجله .. وقال لها من تحت اخمصك الحشر » !

ان السلام بيد العرب كذلك يقول الصهيونيون انفسهم لان اسرائيل تعرف أنها لم تثبت بعد فى الخارطة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للشرق الاوسط ، لم يتحقق بعد بسبب المقاومة العربية ولأن العرب ليسوا فقط الكتلة الاكبر ولكن الكتلة التي تتطور أيضا فى التنمية وفى اتجاه الوحدة والتي تقاوم المقاومة المتعاظمة والتي تنزل فى الوعي الشعبي حتى الجذور .

وهذا السلم الذي يعرض اليوم يضعنا امام اختيارين :النضال او المـوت ..

وقال أصيحابي الفرار او الردى فقلت هما امران احلاهما مر !

ولاني أرفض لابني ان يحول عاملا فى قافلة العبيد بمصانـع النقب وروحوبوت لاني أرفض لاخي أن يمحو النفط الاسود ملامحه لمصلحة الرأسمال الصهيوني ، لاني أرفض مصيرا بالموت لاهلي وبلادى كالذي لخصه كافكا مرة بكلمة !

« كما يموت الكلب » .. فاني ارفض بكل ذرة من كياني أرفض هذا السلم ..

أرفض ؟ بلى ! وان كنت فردا مهملا فى بلد بعيد لاني أعرف أن الاتفاقات والحلول ليست نافذة الا بمقدار ما تقبل الشعوب بهـا وليست لاي تسوية من قيمة ان لم تستند الى الرضى الشعبي ،وفى جو التسويات السياسية والتامر الذي يصفع الاذان ويفجر الجباه: شيء واحد يبقى ، فى هذه المرحلة بنجوة من ذلك المستنقع ،يبقى أبعد من القرف ومن الحلول السياسية ومن السلم ومن قبول قرار مجلس الغبن ، شيء واحد يبقى هو الفدائي. قيمة واحدة تبقى هي النضال على الارض المحتلة للسلام ، النضال كي نعطي العالم المعنى العربـي للسلام ، أن نثبت بالفداء البطولي شعار :

لا سلام الا مع الحق والعدل ، الحق والعدل أولا ثم السـلام افراييم تاري أحد الموظفين الكبار فى الخارجية الاسرائيلية نشر فى السنة الماضية بحثا حول السلام الاسرائيلي قال فى اخره .

« لسوف تظل يد اسرائيل ممدودة بالرغم من كل شيء فهل يتسنى لها أن تجد أخيرا من يصافحها ؟ » بلى! سوف تظل يد اسرائيل ممدودة لنهب أرضي ونهبك وقتل ولدى وولدك فهل يتسنى لها أخيرا من يقطعها ؟ قبل ان يتحول الحطاب الى شجرة صفصاف باكية ؟! .

ماذا تريد اسرائيل

● ربابنة السفن فى أعالى البحار اذا رأوا عن بعد قطعة من جمد الثلج طافية تسبح فى البحر ، حولوا الدفة بعيدا بعيدا وعملوا على القياس والحساب . انهم يعلمون انها الموت الابيض ، تعلموا ان هذه الجمديات التى تزحف من اطراف المناطق القطبية ، انما يطفو منها فوق الماء العشر فقط . واما تسعة الاعشار فتحت الماء خفى دفين . ولقد حاول ربان ذكي مرة وقد راى جمدتين من بعيد ، ان يمر بينهما ما قدر ان الجمدتين موصولتان تحت الماء أو انهما رأسان ظاهران لكتلة جمديةواحدة .. وكانت يومذاك نكبة الباخرة المشهورة تيتانيك سنة ١٩١٥ . وكان الغرق — وهي فخر البحار لعهدها — بما فيها ومن فيها ..

كم مرة نكبت باخرتنا ، بما فيها ومن فيها بسبب جهل الربانة وخرق القائمين على الدفة؟ ليس من موضوعى هنا .. خطأالحسبان وجريمة الاصطدام بالنكبة دون الانتباه للمصالح والخطط الخفية التي تربط شرقا بغرب وكتلة بأخرى . ما اليهما قصدت اليوم . السؤال الذى نصبته عنوانا لهذا الحديث ، انما يدور فى فلكآخر . انه فى ظاهره سؤال متأخر عن موعده نصف قرن على الاقل . ماذا تريد اسرائيل ؟ نعرف السؤالوالجواب . أو كان يجب أن يكونسئل واجيب عليه منذ وعد بلفور على الاقل . والجواب الظاهر السريع ايضا يعرفه حتى الجاهل منا وحتى الطفل ابن يومين . فما من جديد فيه يكشف . المأساة التى تسحق منا العظم ، تطحننا طموحا واطفالا وكرامة وأرضا وقادة .. من ذا الذى يجهل فيها ماذا تريد اسرائيل ؟ ومع ذلك فاني احسب ان القاء السؤال من جديد له ما يبرره .. هل هذا الذى كان كله من ارض تئن تحت الجزمة الغريبة ، وقوافل كخطوط النمل مشردة على الدروب ، واشلاء تلتهب قرابين غير مباركة ليهوه ، اله اليهود الوثنى الذى « يحب رشاش الدماء وريح القتر (١) » هل هذا هو كل ما تريد اسرائيل ؟ هنا السؤال .

---

(١) شطر بيت لابي العلاء المعري . وصفات (يهوه) المذكورة انما هي مستخرجة من التوراة التي كتبها اليهود بايديهم . وهم يعتبرونه الها خاصا بهم وليس باله جميع البشر .

فى الرسالة التى ارسلها بن جوريون فى السنة الماضية الى الجنرال ديغول يقول عجوز الصهيونية : فى لقائى معك ايها الجنرال فى حزيران سنة ١٩٦٠ فى الاليزيه سألتنى السؤال التالى : ما هى احلامك بشأن الحدود الحقيقية لإسرائيل ؟ أخبرنى ، فلن احدث احدا بذلك . وقد أجبتك لو سألتنى هذا السؤال لخمس وعشرين سنة خلت لاجبتك بأن نهر الليطاني هو حددونا الشمالية وشرق الاردن حدودنا الى الشرق .. اما الان ، أى سنة ١٩٦٠ ، فلدينا امنيتان رئيسيتان :

السلام مع جيراننا ، وهجرة واسعة !

ادع جانبا ما تكشفه القصة فى الجواب الرواغ ، من أن اهداف الصهيونية تحول او تمتط أو تتقلص حسب الظروف والفرص . لذلك حديث آخر . وأدع التساؤل عما اذا كانت احداث حزيران سنة ١٩٦٧ تكشف صدق العجوز أو كذبه سـنة ١٩٦٠ ، لذلك بدوره ايضا حديث ذو شـجون . وأدع الاشارة الى التناقض الكامن فى الجواب بين الرغبة فى السلام وبين جمع اليهود الجمع المتفجر الذى لا بد مع التكاثر ان ينتهى الى العدوان . ولكن ، ألسنا نسمع الآن على الطرف الاخر من الخنادق كلمة بن غوريون ذاتهـا تركض على لسان اشكول وايبان ودايان والون : لا نريد الا السلام مع الجيران .. وهجرة اليهود الينا ؟ فهل هذا فقط وبالتحديد ما تريد اسرائيل ؟ هذه الجمدية الرهيبة التى تقطع علينا الطريق ، هل هذا فقط منتهى طموحها ؟ أم لها اعماق أخرى ؟ ولـو كانت المعجزة البائسة ، وهبط السلام فجأة .. وفرض بالضغط ، او عقد فى عتمة الكواليس أو بصم عليه زيد وعمرو على ما بين زيـد وعمرو فى التاريخ من ضرب وثارات .. فهل انتهى فعلا كل شىء وعادت الحمامة فباضت على الوتد .. وجرت الانهار سمنا وعسلا ، وقدرا من رفاه كثير على ضفتى الاردن المقدس وذهب (مارس) آله الحرب ينتحر بعيدا عن الشرق الاوسط ؟ هنا السؤال .

من كان يحسب ان الجواب عليه نوع من عمـل المنجمين وضاربى الفأل .. فلست احسب ذلك . انه قفزة فى المجهول دون

شك ان نغازل الغد منذ الان : فواضعون على اعيننا غشاوة من سواد ننظر من خلالها على الحقد والتشاؤم اليه أو مبتسمون فالرؤى حرير وعطر مشرق ونعيم .. ومستنتجون فى الحالين ما تشتهى انفسنا نحن ، من ظلمة أو نور ؟ ولكنى لن انطلق وراء الغد، من خلال حقدى وأساى ، ولن احاسب العدو الا على الموضوعية المطلقة والرقم ومن خلال عمله ومخططاته وتاريخ هذه العلاقة الفاجعة معه .. وأعتذر ، سلفا ، ان انا خيبت ظن أولئك الذين يعملون على (الحل السلمى) هذه الاكذوبة التى تركض بين برج الامم المتحدة فى نيويورك وبعض العواصم .. على اسم يارينغ .. دلالو النخاسة أولئك الذين ينادون باعتراف وضمان الحدود الامنة والطرق المفتوحة فى البر والبحر والجو ، الاربعة الكبار الذين يحسبون أن الشعوب التى رفضت البيان الثلاثى سنة ١٩٥٠ يمكن أن تقبل التسوية الرباعية سنة ١٩٦٩ . الزعماء الانبطاحيون الذين يسمون الرضى الذليل عقلا والدبلوماسية المهزومة موضوعية وواقعية .. وما يصوغون .. تأنق الذل حتى صار عقلا وموضوعية « والطيبون من شعبى ممن احالتهم عماوة السياسة القائمة الى قصر النظر فيسألون عما اذا كان منح السلم للعدو ، منحه قطعة الارض التى اغتصبت ، وغفران ما كان من جماجم فى ديرياسين وقبية وكفر قاسم وانهاء القضية بعقد وتوقيع وشهود من الدول عدول ، يعيد الدبابة الصهيونية محراثا والطائرة الماحقة فراشة تذهب الربيع وموشى دايان الى (بابا نويل) يوزع الهدايا فى العيد .. كل هؤلاء الذين يظنون أن بالامكان صياغة السلم لو تنازل العرب .. مضللون.

ان السلم فى هذا الشرق العربى لن يكون .. ولو فرشنا له المذلة. بكل بساطة ، لان الرواية لم تتم فصولا ، لان اسرائيل لم تصل بعد الى ما تريد .. ان اسرائيل الحقيقية لم تتكون بعد . لم تظهر بعد . هذه التي نرى ليست سوى الدولة ــ النواة . الجموع التي حشدت مليونين وربع المليون ليست الشعب اليهودى المنشود ولكنها ١٥ بالمائة منه فقط . وهذه الارض التي احتلت فى النطاق الاقليمي ما هي باسرائيل ، ثمة فى المخططات حدود اخرى مختلفة ، وهذه الآلة الحربية التي تعلك البشر ليست تعمل وحدها ، فثمة الجيش الآخر

الذى يقود المعركة الصامتة بجميع الافاق وما نراه من جهد علمي واقتصادى ما هو بمنتهى المدى لاسرائيل .. اسرائيل الحقيقيةهى تلك التى سوف تظهر فيما بعد الصلح ، يوم تدور عجلات معاملها على الاطمئنان . وتصب رساميلها فى سهول الشرق الادنى العريقة فتنبت حبا ونباتا وحدائق غلبا ، وتسوق هذا الشرق عمالا فهو فى معاملها قافلة العبيد .. أفبهذا الحديث تمترون ؟

لست نبى السواد والمشأمة ، وما انا الى التشاؤم ونعيق الغراب .. لقد تعودت ان اقول فى اليوم ان نصفه نهار لا ان نصفه ليل ، ونصف كأس الماء عندى ليست فارغة الى النصف ولكن مملوءة الى النصف ، ومع ذلك فانى لا املك الا ان اصرخ بملء صوتى : من له اذنان فليسمع : لست أرى فى الافق الا العرق والدموع .. هذا بلاغ للناس .. بلاغ لكل من القى السمع وهو شهيد .

على صعيد الموضوعية والرقم أجدني مضطرا لان ألاحق المطامح الصهيونية سربا ، فى النسيج الخلفى الخبىء وفى نقلتها بين الحلم والتطبيق ، وأعترف أنى كدت اسمي هذا الحديث جولة فى الجمجمة الصهيونية . انه فى الواقع مشوار فى دهاليز الفكر الصهيونى كيف يتحول واقعافاجعا .. وقد ينتهى الحديث بأن يضع صورة الجمجمة ومن تحتها العظمتان ، علامة خطر الموت على مسالك الدروب لدينا وعند الاعين الساهية .. ولكن هل كنت املك الامساك عن هذا المشوار والنتائج المأسوية التي وصلنا اليها بعد نصف قرن من النضال للصهيونية تتطابق مع اعنف احلامها تطرفا وقسوة ؟

ان الفواجع التى نعيشها تمتعنا اذن ان ننظر بلا مبالاة ، ان ننظر دون أقصى الجد والحذر ، ان ننظر النظرة العابرة السطحية الى أى خط صدر أو يصدر عن اى صهيونى . كل كلمة فانما هي نافذة على النوايا الخبيئة، ولست تدرى متى يأتى دورهافى التطبيق ولكنه آت .. آت .. آت . كل مخطط مهما اشتط فى الحلم فهو متحول ذات يوم الى مطلب سياسى له النظرية والمراحل واجهزة التنفيذ .. ما من اضاعة الوقت رصد كل الاتجاهات الصهيونية ، تطويق وتحليل كل مشروع يلقى على الطريق ، انه من صميم الفداء والجهد النضالى ، فكم ذا وكم ..

صـار جـداً ما هـزلت بـه   رب جـدٍ جـرّه اللعـب

وما جهلنا ، حتى الآن ، فيجب الا نجهل انهم هناك ، على الجبهة العدوة ، انما يرصدون كل حركة لدينا وكل خط ، فلكل حساب علمي وكتاب ومؤامرة وشبكة استغلال بعيد .. واذا تعودنا في الحديث عن الصهيونية واسرائيل ان نركض وراء الخط الممتد بين هرتزل وبلفور الى وايزمن ثم الى بن غوريون الاخير ، اذا تعودنا ان نتحدث عن المؤتمرات الصهيونية التي كادت تقارب حتى اليوم ثمانية وعشرين مؤتمرا وعن الوكالة اليهودية وعن صناديق المال : (كيرن كايمث) وكيرن هائيسود .. وعن المستعمرات والفتك الارهابي والتبرعات تصب بألوف الملايين من الدولارات .. فانما نتحدث عما كان .. اما الحديث عما قد يكون ، عما قد تريداسرائيل عن الخفي من الخطط ، فانما له خطوط اخرى واسماء وجماعات ندر أن تتنزل على الاقلام .. ما كان فانما هو القليل الـذي برز للشمس من الجمدية المتربصة بالمبحرين .

أعماق هذا الموت الابيض ، تحتياته التي ترسم له خط السير انما تضرب في ظلمات المحيط . هي خط آخر تحتي يتسرب كالافعوان في الجذور .. هذا الخطر الاخر في العتمة أصحابه واسماء اصحابه ولكنه هو الذي كان يرضع بالسم والمخططات والشعارات اجيال الصهيونية ابدا ، وهنا في الواقع يجب ان نفتش عما تريد اسرائيل؟

اسمعتم بتريتش ؟ وجابوتنسكي ؟ وآيزاكس ؟ من لم يكن قد سمع بهم او ببعضهم فهؤلاء هم الخط الاخر والموازي للاول في الواجهة الخلفية ، يقود الركب والدفة ولو ضاق به الربابنةالملاحون ولقد يقفز الى الجبين اني انما اخترت هذا القبيل المتطرف عامداً لبث الهول .. وما ذكرته اذ ذكرت الا لاضع بعض الصوى على الطريق ، لو حككت الجلد من اي صهيوني لانكشف لك في النهاية لولا الرياء – تريتش وجابوتنسكي وبيغن .. ولكني سوف اتناول الحديث من زاوية اخرى تستبعد الاسماء ما اطاقت وتلغي التهاويل والتعصب الجموح ، ولعلها اذن اكثر قربا من الموضوعية ومن الواقع وان مزقنا الواقع . هي زاوية الوسائل والغايات واصوغ ذلك في سؤالين :

الاول : ماذا اصطنعت ومـا تزال تصنع اسرائيل من الوسائل لتكون وتبقى ؟ أى مركب تركب ؟ والثانى : ماذا حققت وتعتزم ان تحقق من خلال مخططاتها وخطة السير ؟ أين تريد ؟ .

أما وسائلها فى الجانب الخلفي لا على الواجهة فهي شقان اساسيان :

آلة عسكرية تعربد فى الداخل ، فى الارض . وجهازسياسى . دعائي فى الخارج يغطى الاعمال العسكرية ، فكيف وعلام يعمـل الجهازان ؟

وأما الغايات فأرض ما تزال تبتلع باسم اسرائيل ، واستغلال اقتصادى للمنطقة كلها . فما حدود الانسياح الذى تبغيه فى الارض وما ابعاد ذلك الاستغلال ؟ اين تريد أن تصل ؟

حول هذه النقاط الاربع تدور المشكلة ودعونا من مال يجمع وجموع من المهاجرين تحشد وأسطورة تعشش فى اللحى .

فاما الالة العسكرية فعمرها الان خمسون سنة ، خمسون سنة بالضبط ، ففى مثل هذا الشهر من سنة ٩١١٩ ، كانت فرقة يهودية عسكرية ، هى بقية اليهود الذين جندهم الانجليز معهم يوم دخلوا فلسطين مع جماعة التجسس الانجليزية (نيلز) التىنظمتها ساره هروتون ، تسـير بقيادة شـخص ، ما احسـب ان احدا منكم سمع باسمه .. هل سمعتم عن يوسف ترومبلـدور ؟ هو اول صهيوني رفع السلاح فى وجهنا وسار يريد وضع حدود الدولة اليهودية سنة ١٩١٩ من ناحية الشمال عند نهر الليطانى وسفوح جبل الشيخ ، وقد قتل عند تل حاى ، شمال صفد ، بيد بعض البدو .. أولئك الذين ارسلوه فى المهمة ، وايزمن والجماعة ، ادركوا بمقتله وهم فى باريس ان الحاحهم فى اعلان الدولة الهيودية سنة ١٩١٩ عبث ما دام ليس فى فلسطين يهود فقبلوا تاجيل اعلانها حتى سنة ١٩٣٥ .. اليهود كل سنة يزحفون فى ٢١ اذار الى تل حاى ليزوروا قبر المحارب الصهيونى الاول والجاسوسة التى معه .

لم يعر أحد من العرب انتباها لهذه الحادثة او لصاحبها .. ولم يعيروا انتباها من بعدها لتلك المنظمة العسكرية التى انتقلت مع المهاجرين الاشكنازيم من اوكراتيا ووسط اوروبا تحمل البندقية

بيد والمحراث بالاخرى وتسمى نفسها : هاشومير = الحارس ..
عدوها من الحراس الليليين .. واختلط على الناس الامر فتشابه
عليهم جماعة هاشومير مع جماعة (غورد ونيا) و (تسعيرى زيون)
و حشمو نائيم .. وحسبوها دارا من دور الكشافة تلك الدار فى
شرق تل ابيب التى كانت تسمى معقل الذئب (متسودة زئيف)
وتجتمع اليها جماعة بيتار (بريت ترومبلدور) او الدار الاخرى
التى كانت تعج بمجموعة سوداء من الحقد : (الارغون تزفاى لئومى)
وحين قام العرب بثورتهم سنة ١٩٣٦ حسبوا ان الـ (٦٠) الفا
الذين كونوا وحدات الليل ثم وحدات البالماخ (كتائب الضرب السريع)
انما هم مجرد تجنيد يهودى بجانب الانجليز كتلك الفرقة اليهودية
التى تألفت بعد ذلك فى الحرب العالمية الثانية . وحسبوا حقا ما
سمعوا من غضب الصهيونية على الجماعات الفاشية العسكرية التى
قتلت اللورد موين وشنقت جنود الانجليز بالشجر .. ما عرف احد
منهم ــ فيما احسب ــ معنى ان فرق هاشومير ووحدات الليل
والبالماخ قد تحولت الى جيش كامل منذ ١٩٤٦ باسم الهاغانا
(قبل قيام الدولة بسنتين) وان الوكالة اليهودية رصدت ميزانية
حربية خاصة تلك السنة بمبلغ ١٥,٥ مليون جنيه استرليني ...
كانت الصهيونية منذ اللحظة الاولى تهيىء قاعدتها العسكرية الصلبة.
كبار الضباط الذين نعرف اليوم فانما هم ابناء كتائب البالماخ
ووحدات الليل .. دايان،رابين ،حاييم بارليف،ايجال الون،اسرائيل
جليلى .. كلهم كانت كليتهم العسكرية هذه الوحدات وتدريب
الحرب العالمية الثانية . اما الجنود فكل الشباب على السواء
جميع المستعمرات فانما هى ثكنات . وكلما اقتربت المستعمرة
من الحدود لبست اكثر فاكثر اللون الكاكى وبرز الرشاش فى برج
المراقبة وفوهة المدفع من حائط السور . وظهر المزارع ــ الجندى
(الناحال) وابن الفتوة العسكرية فى (الجدناع) .

وتتغذى العسكرية الاسرائيلية بالحقد التوراتى دوما . وليس
من قبيل الصدفة ان يكون كبار العسكريين هم فى الوقت نفسه
كبار الاثريين مثل (الون) او على الاقل اصحاب هوايات اثرية مثل
دايان ذلك هو الجانب المتمم للعسكري . واذا كانت هذه المنظمات

العسكرية انما تجمع الصهيونيين المعتدلين ، فطبيعى ان يكـون للمتطرفين معسكراتهم الاشد فتكا : عصابة الارغون تزفاى لئومى انما اسسها جابوتنسكى فى الثلاثينيات ، وقد خرجت عصابة اخرى سنة ۱۹۳۸ عرفت باسم صاحبها ابراهام (شترن) ، وان سماها (ليحى لو حيمى جيروت اسرائيل) ، واذا مات جابوتنسكى سـنة ١٩٤٠ ثم لحق به الزعيم الذى تلاه (رازال) وهو يحارب العرب فى الحبانية سنة ١٩٤١ فانهما اورثا المنظمة صدفة الى زعيم اشد حقدا وسوادا : (مناحيم بيغن) ما يزال على راسها الى اليوم وان سماها حزب حيروت . شعار الجماعة بندقية تخترق جنوب سورية من العقبة حتى سهل البقاع ...

ومذابح قبية ودير ياسين .. لماذا خلقت هذه الالة العسكرية ؟ المخطط الصهيونى عرف بالحساب والكتاب انه لن يستطيع شراء فلسطين : ارضا وشعبا حتى ولو انعدمت المقاومة العربية قبل مضى اربعمائة سنة . انهم ما اشتروا منها سوى ٣ر٩٪ خلال ستين سنة ، وقد اعطاهم الانجليز خلال الانتداب ٤٪ اخرى من املاك الدولة ، هذا كل ما حصلوا عليه حتى سنة ١٩٤٧ . اذن فيجب ان يعتمدوا على اللحظة الانقلابية التى يصبح فيها باستطاعة قوتهم العسكرية ان تحتل بالمجان الارض اللازمة وتطرد سكانها .

وجاءت اللحظة سنة ١٩٤٨ فاذا بالمذابح المحكمة الاعداد تخلى فلسطين : » اخلت لليهود على ما عدده دون بيرتز فى كتابه ـ اسرائيل وعرب فلسطين ـ مساحات من اراضى الزراعة اقاموا عليها ٣٥٠ مستعمرة من اصل ٣٧٠ اسسوها بين ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٣ ،ومساكن سكنها فى تلك الفترة ٢٥٠ الف مهاجر جديد . ومدنا باكملها منها يافا وعكا واللد والرملة وبيسان والمجدل و ٣٨٨ حاضرة وقرية بكملها واجزاء من ٩٤ مدينة وحاضرة تشمل ربع مجموع المبانى فى اسرائيل ، وعشرة الاف دكان ومخزن و ١٢٠ الف دونم من بيارات البرتقال انتجت كل سنة مليون وربع مليون صندوق ، عدا حقول الزيتون التى شكلت ثالث صادرات اسرائيل) . سياسة المذابح لتنظيف الارض ليست فقط خطة تعلموها من المانيا ولكنها خطـة سنها لهم كبيرهم الذى علمهم الحقد وما ينبغى له : هرتزل ..

ولئن اعترف بيغن فى لحظة غرور بما يلوث ايديه من الدماء الوحشية واعترف بعض الكتات اليهود (جون ودافيد كمبشى) بعمليات الابادة والارهاب فى كتاب (تصادم الاقدار)

فان الصهيونية ادعت وما زالت تدعى ان الزعماء العرب طلبوا من السكان العرب النزوح .. فاستجاب لهم هؤلاء وتركوا الديار ما تصدى احد من العرب لرد هذه الفرية الكاذبة . كاتب بريطانى فقط جلس الى التسجيلات المحفوظة فى المتحف البريطانى والتى التقطت للاذاعات العربية خلال سنة ١٩٤٨ كلها ، وخرج بنتيجة غريبة : انه لم يعثر على نداء واحد او كلمة واحدة من اذاعة عربية تدعو عربيا واحدا للنزوح .. ايعنى هذا من شىء ؟ انه يعنى على الاقل ان الالة العسكرية كانت محسوبة المكان والمهمة ، على الوجة الدقيق فى الخطط الصهيونية كانت مهمتها المقررة باعصاب باردة ان تنظيف الارض بالرعب . ان تنفذ خطة الاميركيين ضد الهنود الحمر .. ولقد كان ذلك . وقضى الامر الذى تعرفون باجفان لا ترف ووحشية لا تدرك انها وحشية . وبذلك قدمت لاسرائيل ٢٠ الف كم٢ ، اغريب بعد هذا ان تطلب اليها الصهيونية تقديم المساحات الاضافية من بعد . ان تسيرها سنة ١٩٥٦ ثم سنة ١٩٦٧ لتحتل ما يصل الى ٩٠ الف كم٢ ؟

هذه الالة العسكرية يكفى كي تعرفوا خطر المكان الذى تحتله فى الوسائل الصهيونية والخطط ، ومدى الاعتماد الرئيسى عليها ان عرفتم ان زعماء الصهيونية وهم فى الغمرة الكبرى من اعلان الدولة سنة ١٩٤٨ ، وبعد ثلاثة اشهر فقط من ذلك الاعلان اسسوا لجنة الطاقة الذرية فى وزارة الدفاع .. ولنذكر ان القنبلة الذرية الاولى التى كانت اطلقت على هيروشيما لم يكن قد مضى عليها يومذاك سوى ثلاث سنوات .. بن غوريون هو الذى وضع القاعدة لقومه : ان البت فى الامور يتوقف على قوة السلاح لا على المقررات الرسمية .

لهذا ، كانت الخدمة العسكرية الاجبارية لدى اسرائيل ثلاث سنوات ، وكان التجنيد عندها يصل الى ١٥ ٪ من السكان (وكان حتى فى المانيا الهلترية ١٠) وكانت تنفق من الدخل القومى فى

الجيش .. ما يصل الى ١١٪ ثم ٢٠٪ ثم ٢٢٪ ان لم يكن هذا الرقم يعني الكثير لديكم فانظروا معناه في ان الولايات المتحدة لاتنفق اكثر من ٩ر٨٪ من دخلها القومي في الحرب والاتحاد السوفيتي وهو من تعلمون ينفق فقط ٥ر٥٪ . ومع ذلك فان هذه الميزانية قد ارتفعت في السنة الحالية التي سوف تنتهي بعد شهرين ٦٨ - ٦٩ ، وبعد ان كانت تشكل ٤ر٤٢٪ من الميزانية السابقة اضحت ٦٥٪ من الميزانية الحالية .. لا .. لم تنشر النفقات الفعلية بالطبع .. ما نشر فقط هو الذي ظهرت فيه الزيادة بين عام وآخر ٨٠٪ فقط . والموج العسكري بعد الى ازدياد وعنف تنفق اسرائيل على مشروع البحث الذري ، سنويا وفي المعروف فقط من الرقم ٥٠٠ مليون دولار وعلى اسراب القتال الجوي التي تزيد على ٦٠٠ طائرة ما يزيد على مائة مليون . اما مصانع السلاح التي وصلت حد الطائرات النفاثة والالات نصف الثقيلة وحد تطوير معظم الاسلحة الغربية من تركيب مدفع ١٥٥ مم على دبابات شرمان ورشاش (عوزي) ، وغيرها . فتلتهم كل المعونات الالمانية والتبرعات الاميركية وخبرات حلف الاطلسي معا ...

في شهر تشرين الاول (اكتوبر) في مجلة تايم الاميركية التي تعرفونها : قرأت كلمة ليست لصهيوني عادي ولكن لموشيه كاشتي المدير العام لوزارة الدفاع الاسرائيلية ، وواضع برامج التسلح فيها يقول : كنا نشتري الطائرات من فرنسا ونصنع القمصان لدينا، لعله من الافضل ان نصنع الطائرات ونشتري من فرنسا القمصان .. وانهم لكذلك في مايفعلون الان .. ترى هل قفزت الى خاطر من قرأوا كلمته في الغرب كلمة اضحت في تاريخ النازية سبة يوم قال غوبلز : نريد المدافع لا الزبدة) ولكن من ذا الذي في الدنيا يهمه مصير اولئك الذين سوف تدمرهم منا ،تشويهم،تسطحهم، تبقرهم الطائرات الاسرائيلية كما كانوا يهتمون بمصير الاوروبيين الذين كانت تتوجه اليهم مدافع غوبلز ؟

واعود فاذكر ان هذه الالة الحربية الجهنمية التي اخترعت لمهماتها بالترتيب اسماء (الدفاع) ، ثم اسم (الحرب الوقائية) ثم الحملات التأديبية ثم الحرب الانتقامية ، انما مهمتها الحقيقية ليست فقط تثبيت وجود اسرائيل بالقوة في الشرق الاوسط ولو ان هذا ليس بالقليل ، ولكن هي ماعبر عنه اسحق دويتشر الصهيوني

فى مقال له .. باحدى المجلات (تشرين الثانى) نوفمبر سنة ١٩٦٧ اذ قال : سلامة اسرائيل لا يمكن توفرها الا بحروب متوالية دائمة تؤدى فى النهاية الى القضاء على قوة البلاد العربية قضاء تاما .. ومن كانت له اذنان فليسمع .

وانتقل الى النقطة الثانية من وسائلهم الى الجهاد السياسى الدعائى فى الخارج . عرفت الصهيونية ، قبل ان نعرف بكثير قيمة الراى العام العالمى وضرورة ضمانه . انه القوة المعنوية التى يزداد اثرها باستمرار منذ الحرب العالمية الاولى على الاقل . « السياسة هى استمرار الحرب بوسائل اخرى » ، كلمة فهمها اليهود بعمق فالجهد الصهيونى منذ البدء عرف ان عليه الاتكاء فى المعركة على حليف دولى ، على جو مؤيد ، على عكاز من العطف العام ، هرتزل قال ذلك . وقاله وايزمن وقاله بن غوريون واشكول .. وكل القبيل الرجيم . ونحن فى الحمق والتكاسل ، نسمى (هذا) سيطرة من الصهيونية على وسائل الاعلام العالمى ونعتبر هذا بديهية تتناقلها التراجيل المقرقرة اول الليل . تنابلة السلطان الذين يتثاءبون فى اعماقنا ، الدجل فى القيادات ، الفقر حتى ليكاد يحول ضعفا فى الايمان :، الهزائم تنهمر كالمطر فلا يزلزل لها كرسى ولا عرش .. كل اولئك يزينون لنا انها الحقيقة ، انه العبث الضائع ان نحاول زحزحة الراى العالمى عن هواه اليهودى ، لقد اشترته الصهيونية كذلك اقنعنا انفسنا ، ابتلعته ، جعلته كلب الصيد الامين . انها مثل (فيغارو) فى اوبرا (حلاق اشبيلية) : فيغارو هنا ، فيغارو هناك فيغارو فى كل مكان .. » واسترحنا الى النوم ، او ليس اليأس احدى الراحتين ؟

هذه الفرية المدمرة يجب ان تنتهي .. لأكاد احسب انها من اساليب الحرب النفسية الصهيونية ولقد تكون .. لم يفقد العالم عقله كله ولا منطقه كله . لسنا من السخف بحيث نؤمن حقا بهذا وليس فى طوق الصهيونية ولا غيرها شراؤه والكلام بفمه فى كل مكان هناك مقعد اخر للرأى الاخر .. شريطة ان نعمل وان نعرف كيف نصل اليه . ما من باب فى الدنيا مغلق .. الا ان اغلقت منا نحن الافهام .

اخلق بذى الصبران يحظى بحاجته ومدمن القرع للابواب ان يلجا الى مانسميه سيطرة صهيونية فانما هو غيابنا الدائم في كل مجال مقابل حضورهم الدائم . وكلامنا الدائم بالعربية ، فلا يترجم منه للناس الا ما يضر بنا ، وكلامهم بكل لسان . واقتحامهم كل ميدان ، ومنذ خمسين سنة وتأخرنا فى الوصول الى الميدان الدولى ثم وقوفنا باعين بلهاء مذعورة .. امام الابواب . ودابهم المستمر المستمر .. الملحاح . الملحاح ، وقلة صبرنا لأكثر من مقال او جولة لو ان حديثى كان عنا ، عن اعلامنا ، عن اجهزتنا الدبلوماسية لقلت وقلت الكثير . وقلت ما يدرج الصقيع فى الشرايين ولعلى من القلة التى تعرف اننا فى هذا الميدان اول الجناة .. على نفسها جنت براقش .. بلى !

لا يبلغ العاقل من جاهل   مايبلغ الجاهل من نفسه

وانما حديثى عن الطرف الاخر ، عن الاجهزة التى تعمل على مهمة الجيش ذاتها خارج الحدود ... ثمة فى اطراف الدنيا اثنا عشر مليون يهودى يعملون ، هم الجيش الحقيقى الاخر ، عدا من يجرون فى فلكهم فيغرون او يضللون او يحرجون .. المعركة الخرساء تدور بهم ضدنا كل لحظة بكل ارض .وتدير المعركة اجهزة شتى يجمع بينها التنسيق الدقيق والتوزيع السيموفونى المحسوب

ثمة اولا الجهاز الدبلوماسى : هو ٩٨ سفارة تغطى معظم دول الارض البالغة ، عدا العرب ، ١٠٩ دول فقط . فى افريقيا وحدها ثمه ٢٨ بعثة دبلوماسية وشمال افريقيا وشرقها كله عربى وال ١٥٥ موظفا فى الخارجية الاسرائيلية ثلثهم من يهود البلاد انفسهم ، كل فى بلده : يتنفس مشاكله بلغته . اهم من هذا ان الدبلوماسيين الاسرائيليين يصاغون فى كلية خاصة اسمها كلية الدفاع الوطنى الاسرائيلى ، يدرسون فيها ثمانية اشهر ، عشر ساعات يوميا ، خمسة ايام فى الاسبوع .. هناك يتخرج الدبلوماسى المناضل .

وثمة ثانيا ، ان لم يكن اولا ايضا ، اجهزة وزارة الدفاع . هذه الوزارة هى التىتتنفس فى الواقع فى وزارة الخارجية وتجررها وراءها على الخطوط التى ترسم . القادة العسكريون هم الذين

يخططون وينفذون ، وعلى الخارجية ان تلهث وراءهم فى الميدان الدولى .. اليس لهذا كان معظم السفراء من قادة العسكر ؟ وكان لوزارة الدفاع شعب اعلامية للعلاقات الخارجية ولاميركا اللاتينية وللاقطار الناطقة بالفرنسية) وكان لها ممثليات كبرى فى السفارات الاسرائيلية : ممثلية فى فرنسا لاوروبا واخرى فى بريطانيا وثالثة فى الولايات المتحدة ورابعة فيما بين تايلاند والفليبين واليابان

وثمة **ثالثا** اجهزة الاعلام ، ومنها مكتب الاعلام المركزى فى القدس الذى تتبعه وحدة الافلام ووحدة ما راء البحار ، ومنها اربعة مراكز فى نيويورك ، باريس، بونس ايرس وزوريخ . ومنها كذلك الاذاعة الاسرائيلية التى تذيع على ١٥ موجه من اربع محطات فى ١١ لغة بمعدل ٣٨ ساعة يوميا .. تذيع حتى بالايرانية والسواحلية وترسل الاشرطة الدعائية المسجلة كما في سنة ١٩٦٧ الى ٥٠ محطة فى اميركا اللاتينية وثلاثين محطة فى افريقيا و ١٥ محطة فى اسيا عدا ٢٧. محطة فى الولايات المتحدة .

وثمة **رابعا** : اجهزة الاعلام والدعاية التابعة للهستدروت ، نقابة العمال الاسرائيلية التي تضم مليونا وثمانمئة الف عضو وتملك او تسيطر على ما يزيد عن خمسين بنكا وشركة كبرى (منها العال وزيم وسوليل بونية وكور) وتصب ارباحها فى الدعوة لاسرائيل

وثمة **خامسا** : اجهزة المؤتمر الصهيونى القديمة التى تديرها بكل مكان المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية ..

هذه الاجهزة تلتقى جميعا فى قواعد ثابتة مشتركة للعمل ، لو شهدتها حسبتها يد ساحر عجيب يقود الاوركسترا كيف شاء ، وما هي فى الحقيقة الا الجهد ثم الجهد .. ثم الجهد .. تلك القواعد :

أولا تجنيد كل قوة ممكنة لمصلحة اسرائيل حتى القوى الصغيرة والجانبية لها مكانها وحسابها ، ويفتحون لها الاقنية لتصب فى التيار العريض ، ويرتبط بهذه القاعدة مطلبان هما السياسة الدائمة :

(أ) سياسة المزيد من الاصدقاء ، المزيد دوما من الاصدقاء ، كسب الانصار وانصاف الانصار باستمرار .. هو الطريق . بن غوريون يسمى ذلك سياسة (الدرع الواقى) ، ويضيف « ان الطريق

الاكبر ضمانة للوصول الى السلام وارغام جيراننا على التعاون لا يكون بدعوة شعب اسرائيل ووعظه بالسلام ، ولكن عن طريق الحصول على اكبر عدد ممكن من الاصدقاء الذين سينهمون اهمية اسرائيل وقدرتها ويجبرون جيراننا على قبولنا » .

(ب) الاخذ بجميع الخيوط والجسوم التي تمتد ، الفناء على كل وتر متاح . يعرفون انه فى المعركة ليس من حق احد أن يتنازل عن أى قوة .

القاعدة الثانية هي :

سياسة النفس الطويل ، أو الصبر الحركي الديناميكي ، كما يسمونها Dynamic Patience وسموها ان شئتم سياسة (خذ وطالب) . . أنه الالحاح فى الطلب (الوجه الصفيق) حتى تصل الى شيء ، ثم الالحاح فى طلب الباقي حتى تأخذه . على النطاق الدولي هذا يعنى الكثير : يعنى قاعدة غوبلز المعروفة : « اكذب . . اكذب دوما ، فلابد ان يبقى من كذبك شيء . . ويعني عدم الاهمال لاى صديق وعدم اليأس من أى عدو . الى كل قلب لا بد من طريق . . وفى السياسة ليس من باب مغلق الى الابد . . ذلك حالهم مع ايران واليونان وأسبانيا ، ولقد يصلون فى هذا حتى قبول الاهانه . ألم يطرد سفيرهم فى غانا من حفل تكريم رؤساء الدول الافريقية ؟ ألم يصل رئيسهم الكبير الى بومباى فلم يستقبله احد ، وارغم على دفع اجرة الفندق ؟ فهل قاطعوا غانا او يئسوا من الهند ؟

القاعدة الثالثة :

الانتهازية ، انتهاز الظروف السياسية (كما فى حالة فرنسا مع الجزائر ، وانتخابات الولايات المتحدة) وانتهاز اللاسامية كما فعلوا يوم ايخمان مع الارجنتين ، وفى التعويضات مع المانيا .
وانتهاز الدبلوماسية السرية التي انقرضت (مع المانيا الغربية سنة ١٩٦٠ ومع فرنسا سنة ١٩٥٦ ومع الولايات المتحدة سنة ١٩٦٧ ، واستغلال العلاقات الشخصية والمراكز الكبرى كما فعل غولد برغ فى الامم المتحدة ، وفعل مستشارو البيت الابيض اليهود يوم التقسيم والاعتراف ، ومن قبلهم وايزمن مع صديقه بلفور . . وبرانديس مع ويلسون ، وايدى جاكوبسون مع شريكة ترومان . .) ، حتى الكوارث الدولية تستغل . . الم تصب فلورنسا

بكارثة الفيضان فدعت اسرائيل ١٢٠ طالبا منها للنزهة اسبوعين فى فلسطين ؟ وحتى اعياد الناس ايضا ، كبار الايرانيين ــ مثلا ــ اعتادوا ان يتلقوا فى النيروز دعوة اسرائيل لقضاء عطلة العيد فيهـا منـذ سنين . كان عددهم سنة ١٩٦٤ فقط (٧٠٠) مدعو ..

القاعدة الرابعة :

الوجود بكل مكان ، وفى كل مناسبة ، وباستمرار ، تلك هـي القاعدة الذهبية . من معرض بقرية صغيرة فى اقصى الارض الى معسكر كشفي فى بورما الى مؤتمر لبعض العلماء يبحثون أمراض بعض السلاحف وفى حلقة دراسية تهتم بطالب البحار الباردة . دوما لا بد من قادم يأتي ليضع امامه لوحة (اسرائيل) .

القاعدة الخامسه :

التكون .. والناس أهواء ومشارب .. ولكن اسرائيل كشيطان نيتشه الذى تستوى عنده جميع الحالات . فالسياسة الصهيونية راسمالية مع الراسماليين ، اشتراكية راديكالية مع الاشتراكيين ، سوداء زنجية بأرض الزنج (اخوتنا فى البؤس الماضي وأمل المستقبل) اوروبية مع الاوروبيين .. وهي لا تتملق البوذية والمسيحية والطاوية فقط ولكنها ايضا وأيضا تعلم فى افريقيا اللغة العربيـة والقرآن المسلمين ..

القاعدة السادسة :

الاغراء والاغواء : علمتهم التوراة والتلمود ان لكل شيء ثمنـا ولكل شخصية مفتاحها ، وما من انسان ليستعصي على الاغراء ، وما من قيمة مطلقة . كل القيم نسبية امام الغايات والناس يفتنون حتى بالاشياء التافهة والصغيرة وقائمة المغريات طويلة طويلة : المؤتمرات والمهرجانات الدولية تقام فى اسرائيل لاى سبب ، ولكل سبب . الدورات التدريبية تنظم حتى للصم والعمى ، الصداقات تختلق وتخلدفى تسمية شارع أو زرع غابة أو نصب تذكارى . المبانى الرمزية تبنى باسم الشعوب .. الضيوف وفود بعد وفود :

يغشون حتى ما تهر كلابهـــم لا يسألون عن الســواد المقبل

المقبل عبر البحر .. بالطبع ..

وتقام المعاهد الثقافية وجميعات الصداقة والمعارض الفنيــة والثقافية والصناعية والزراعية والاثرية ومعارض الحلوى والتبغ وتنشر المجلات الملونة ومجموعات الطوابع والكتب الفخمة بالسعر التافة وتركض بالمبادلة والتقارض برامج التلفزيون والافلام وفرق الرياضة والموسيقى والتمثيل والفولكلور .. وتنظم النزهـــات والمحاضرات والمسابقات ومنح الدراسة ويصدر الخبراء ، فى اقل من ثلاثة اسابيع يصل اى خبير لاى بلد يطلبه ، وتمنح القروض ، وتدور باستمرار دوامة الاسرائيليين المسافرين عبر البحار من بلد لبلد ، يزورون ويحاضرون ويتصلون ، وتترجم اسرائيل الى العبرية حتى الاعمال الادبية التافهة لكبار القوم الذين تريد ان تتألق وتتملق ومن أصغر اللغات انتشارا .. كل هذا الذى ذكرت يقوم على فكرة اساسية اعمق ، هي ان الدبلوماسية حوار بين انسان وانسان ، فيجب ان يقام هذا الحوار بأى شكل ، وان تقوم العلاقة فى اكبر عدد من البشر . العلاقة الشخصية هى التى تصوغ وتكيف فى النهاية دوما المصالح والمواقف الكبرى . والرشاوى ها هنا هي المفاتيح الاولى ، ولست لانبش ها هنا حديث الرشوة الجسدية .. انها من تعاليم التلمــود المقدسة .. واجب ديني لمجد يهودا ولكني اذكر فقط تلك الفضيحة المالية التي حققت بها لجنة الشئون الخارجية فى مجلس الشيوخ الاميركي (فى مارس سنة ١٩٦٣) . تقرير اللجنة يقول بين ما يقول : « ان ٢٥ مليون دولار من الاموال ، الجباية اليهودية الموحدة ، انفق على شراء الناس والصحف فى الولايات المتحدة بين سنة ١٩٥١ وسنة ١٩٦٠ ، وان خمسة ملايين انفقت على المجلات الموالية للصهيونية ، وان ١٨ مليون دولار دفعت لرجال الاحزاب اليهود .. وان .. وان .. لكن طمس على الفضيحة ما طمس » .

القاعدة الاخيرة :

وهي الاول والاخر دوما : اللاتراجع . كل المرونات اللفظيــة تعطي ، كل العقود والعهود التي لا مناص منها تبرم ، توقع ، يعلن قبولها .. على الا يعني ذلك عند التطبيق اى خطوة الى الوراء .. كل المكاسب الاقليمية والسياسية والحربية التي كسبتها اسرائيل احتفظت بها حتى اليوم .

ندر أن تخطىء مرة خطيئة ابا ايبان الذى فضح فى ساعة سكر بالنصر فى حزيران الحزين نوايا اسرائيل الحقيقية ، قائلا « حتى لو

صوتت الجمعية العامة بأكثرية ١٢١ صوتا ضد واحد على اخلاء الاراضي المحتلة ، لمـا نفذت ذلك اسرائيل » . هو نفسه من ابرع من عرفت الدبلوماسية فى ابتكار اساليب التملص والصيغ البديلة واللف حول الكلمات ومن ورائها . قرارات الامم المتحدة التى لم تنفذهـا اسرائيل اكوام يأكلها الغبار ، تعلكها نحن والفئران . فاذا اصطدم موقف اللا تراجع مع اى اتفاق او قرار دولي فان الاتفاقات تقبل وترفض او تفسر او تنقص او يتنصل منها او تطبق التطبيق الحرفي او بالنوايا بل تزيف ايضا فى المعنى وفى المضمون ، وقد تختلق ايضا وايضا فى خدمة المطمع الاسرائيلي دون اى اعتبار آخر .. وعلـى الدبلوماسية الاسرائيلية ان توجد الصيغ البديلة والحجج اللازمـة للتغطية وقنابل الدخان .

تلك الاجهزة وهذه الاساليب ، ما غرضها ؟ انها الجانب المتمم الخارجي للالة العسكرية العاملة فوق ارض فلسطين ، واذا كان هدف الاجهزة الحرب تثبيت وتوسع اسرائيل على الارض فهم هذه الاجهزة المتممة تثبيت وتوسيع الوجود الاسرائيلي فى الخريطة العالمية، جعله حقيقة نهائية فى خريطة الشرق العربي وقبوله عنصرا بدهيا لا جدال فيه فى المجال الدولي فى السنوات الاولى بعد سنة ١٩٤٨ .

كان اقصى ما تريد اسرائيل ان تنتزع الاعتراف الرسمي من اكبر عدد من الدول ، فلما وصلت الى اعتراف ٩٨ دولة الآن ، اضحي المطلب انتزاع الاعتراف الرسمي من أهل المنطقة واصحاب البلـد ..

ويتصل بهذا الهم مطالب ثلاثة :

اولها ما تسميه بضمان الامن . ولقد يكون هذا الامن فى الاصل مسألة عسكرية ، لكن اسرائيل تريد أن تجعله مطلبا دوليا ايضا . أن تقيم فى وجه العرب الرادع الدولي ، درع الوقاية .

بن غوريون يقول فى كتابه : (بعث اسرائيل ومصيرها) : « ان الاسلوب الاخر لضمان أمن اسرائيل هو عبر اقامة علاقات صداقة مع جميع الدول والامم .. كل دولة وكل امة .. » .

ابا ايبـان يردد النغمة نفسها فى بيـان امـــام الكنيست فى ١٩٦٥/٣/٢٣ : « ان البند الاول لسياسة اسرائيل الخارجية يقوم على تجنيد اكبر قدر من النفوذ الدولي لتأييد استقلال دول الشرق الاوسط ووحدة اراضيها .. » .

بنيامين اكسين ، استاذ السياسة والقانون الدستوري فى الجامعة العبرية يقول الكلمات نفسها : « ان نقطة الارتكاز فى سياسة اسرائيل الخارجية يجب ان تكون ضمان وجود اسرائيل فى العائلة الدولية . اما معاهدات الصلح فانها لا تضمن سلما دائما . . » .

جيروسالم بوست — ١٩٦٥/١١/٢٨ : « هذه الصداقات فى اعلى اطوارها . . تتحول الى منابع للتبرعات ومصادر للسلاح . اليس كذلك المثل مع الولايات المتحدة وفرنسا سنة ١٩٥٦ الى سنة ١٩٦٢ والمانيا الغربية ؟ وتصبح كذلك وسيلة كسر العزلة الاسرائيلية فى الشرق العربي . عصا القفز العالى والعريض فوق الطوق العربي الجغرافي . أوليس كذلك المثل من ايران وتركيا والدول الافريقية وقضية الممرات المائية » ؟

ثاني تلك المطالب :

تجنيد يهود العالم وراء اسرائيل . فمنهم من يهاجر ليكون جنديا فيها وجزءا من القوة البشرية ومنهم من هو مدافع عنها فى وطنه وارضه يصوغ الرأس الاجنبي على هواها ويدفع لها من ذات نفسه وذات ماله ما تشاء .

والمطلب الثالث الذى هو قوام الكيان الصهيوني :

مساندة الاقتصاد الاسرائيلي . . المعونات الاجنبية . تسويق المنتجات . الاموال القادمة للتثمير . تأمين المواصلات البحرية والبرية والجوية البعيدة ، هي حقنات الدم والشرايين التي عليها تعيش اسرائيل .

فى الاوساط الصهيونية يقولون : ان وزارة الخارجية هي اكبر مصدر للمال بعد وزارة المالية .

لو جردتم بعد معى هذه الهموم جميعا لوجدتم انها تتلخص فى كلمتين :

من جهة تغطية الالة العسكرية فى حركتها التوسعية . نشر الضباب الاعمى حولها . ابتكار الشعارات البديلة . الهرب من الاتفاقيات . تشويه الاعداء العرب .

ومن جهة ثانية تلبية حاجات الحرب فى النفقات والسلاح اللازم والحماية الدولية . مرة اخرى من له اذنان فليسمع . .

وتنقلنا هاتان النقطتان الى نقطتي الحديث التاليتين : ما مدى التوسع الارضي الذى يريدون ، وما الغاية النهائية من وراء كل ذلك

اكره ان احول هذه اللحظات معكم الى درس فى الجغرافيـــا الاقليمية لئلا تحسبوه تشويه المهنة ، ولكن المصيبة لا ترى فى المدى الفاجع ، الا اذا انبسطت ، وباءً على الارض يزحف ، وأكره ان اغوص فى التاريخ الاقدم والمأساة حية تدمى . وقد بلغت الروح التراق وقيل من راق .. ولكننا اليوم نواجه هذا التاريخ وجها لوجه .. نواجـه الاسطورة التاريخية الجغرافية اكثر من اى وقت مضى واقسى من اى وقت مضى .

كانت الاسطورة (ارض الميعاد) ذكرى متحجرة ، منذ قرن واحد ، أما اليوم ، فلها جيش من الجيش وارض وفلاسفة وحكومة واحتلال وتعذيب .. وما يطير ، وما يدب ، وما يعربد بكل افق .. ولها ما هو اهم : الطموح الى الحدود الاسطورية التوراتية . وخيال الاسطورة التوراتية لا حد لجموحه الشرود ان تتفجر المأساة التوراتية فينا كل يوم قد خلق فينا نوعا من الردة الى التاريخ القديم . اقام عقدة تساوءل . ما اكثر من استوقفني ليتساءل عن ذلك الارث الاثيم : ارض الميعاد ؟ وعن وعد الرب لابراهيم ؟ وأحسبكم تعذرون أن توقفت ها هنا دقائق .. خلاصة كل ما كان قبـل ثلاثة الاف ومائتين وخمسين سنة ان موسى خرج ، اذ ذاك بالشعب العبراني من مصر الى سيناء واتم الشعب رحلته الى شرقي الاردن ثم الـى جنوب فلسطين التي كان يسكنها الفلسطينيون فى الساحل الجنوبي ، والكنعانيون والاراميون فى الشمال والداخـل ، واختلط الشعب الجديد بهؤلاء ، واخذ عنهم اللغة والحضارة المادية والديانة ، وتمكن فيما بين اوائل واواخر القرن العاشر فقط (ق . م) ان يؤسس مملكة فى فلسطين لم تدم اكثر من سبعين سنة هي مملكـة داوود وسليمان . ثم انقسمت المملكة بموت سليمان قسمين :

شمالى ، هو مملكةاسرائيل التىدمرت وتفرق اسباطها العشرة فى السبى الاشورى الاول سنة ٧٢١ (ق.م) ، ونقل ٧٠ الفا منهم للعراق .

واما القسم الجنوبي فهو مملكة يهودا التى استمرت ضعيفة صغيرة قرنين اخرين ، ولكنها لقيت المصير نفسه سنة ٥٨٦ (ق.م)

على يد البابليين ، فكان السبى الثانى الى العراق ايضا ، وقد عـاد بعض اليهود بعد السبى الى فلسطين ، وتكاثر بعضهم فى العهد الرومانى ، وعهد السيد المسيح ، اى منذ الفى سنة ..

وتضايق منهم الرومان بسبب ثوراتهم ، **فطردوهم من فلسطين سنة ٧٢ ميلادية ، اى قبل تسعة عشر قرنا بالضبط** لم تعد اليهودية بعدها الى فلسطين الا فى عصرنا هذا .

حين دمرت مملكة اسرائيل فى القرن الثامن قبل الميلاد ، منذ ثمانية وعشرين قرنا،اى بعد عهد ابراهيم بعشرة قرون ، وبعد موسى اربعة قرون ، لم تكن هذه الثورات التى بايديهم قد كتبت بعد ،وقد كتبها الحاخامات والربابنة فى المنفى ، ثم فى فلسطين فيما بين القرن السابع (ق . م) **والقرن الثانى ق . م وسجلوا فيها امانيهم واخبار** قضاتهم **الملوك** .. وسجلوا **ما سجلوا ، وهم فى المنفى ، ان الرب** وعد ابراهيم قبل ذلك بالف سنة بما بين الفرات والنيل ، وانه لابد اذن من ان يعيد الشعب اليهودى اليها .. **لماذا ؟** لان الاله (يهوه)، فى زعمهم يسكن سماء فلسطين ، وقد اختارت ارضها لهم .. من **ميثولوجيا التورات اذن تنبع المشكلة . واذا كانت كل الاقدام ، اينما تنشا وتتطور فى ظل ارض تصبح بهذه العلاقة وطننا** لها ، فالعبرانيون الاولون كهولاء الصهيونيون الاخرين نشاوا خارج الارض التى ادعوا ويدعون انهم قد وعدوا بها .. ثم جاءوا بالقوة يحتلونها. وانما ندفع نحن الثمن الوعد الذى وعده فى مثل الاسطورة ذلك الالـه القديم المجهول (يهوه) لذلك الشعب القديم المجهول .

هذا الايضاح الجانبى قد تحتاجه الان وعلى اليدين حديث **التوسع الاسرائيلي المدمر،واذا حسبتم انى عائد الى كتاب(كارانجيا)** الذى تعرفونه ، فذاكر ما فيه من مخططات تنكرها الصهيونية ،وان كانت الحقيقة تطبق ، فانى فى الواقع لم انس الكتاب ولكنى سابقيه بعيدا .. انما ابحث عن اعتراف الصهيونية بالاثم الصهيونى من فمك ادينك باسرائيل ..

ان هذا الذى نعيشه منذ واحد وعشرين سنة من نهب متماد للارض العربية ومن توسع لم يكن يملك سوى ١٨٠٠ كم ٢ سنة ١٩٤٧ قفز بها الى (٤٥٠٠) كم ٢ حسب قرار التقسيم ، ثم صيرها الى ٢٠ الفا كم ٢ ، حسب احتلال سنة ١٩٤٨ ثم زادها

الى تسعين الف كم٢ بعد حرب حزيران الحزين سنة ١٩٦٧ ثم .. هناك بعد ثم .. شيء سيكون من بعد . هذا الذى نعيشه انما وضعت مخططاته ، على الورق وعلى اساس من الوعد الاسطورى منذ سبعين او ثمانين سنة .. فمن شاء ان يكشف حدود الغد اذن فما عليه الا النبش فى الامس .. شيءمن الرؤية الواضحة الى مشاريع الماضي المقبورة يكشف انى ستكون قبورنا نحن المقبلة ؟ .. واين تتهيأ الضربة القادمة ؟ وها هنا ايها الاخوة تتكشف فى التاريخ الصهيونى اسماء ما ان سمع بها منا احد .. هى جماعة الجائعين للارض .اسمعتم بتريتش وروبين وآحادها عام وايزاكس وجابوتنسكى وسايد بوثام ؟ هؤلاء هم دون ان نذكر غيرهم هم الذين وضعوا الابعاد الجغرافية التى يعمل لها الان ، وعليها جيل دايان – الون – بيغن .. هم الذين التقى فى اذهانهم اخطر النزوع الدينى مع ابعد الرؤى الاستغلالية ، هم الذين اعطوا الاسطورة فى الواقع معناها الاستثمارى الاوسع فسروها على قياس المطامع وارقام التثمير يوم قال هرتزل دون اى تحديد : سنطلب ما نحتاجه من الارض كان غيره يحدد على الخريطة تلك الحاجة .

الالمانى الاميركى ديفيس تريتش Trietsh (١٨٧٠ – ١٩٣٥) الذى هاجر لفلسطين سنة ١٩٣٢ حمل منذ سنة ١٨٩٥ مشروع فلسطين الكبرى . كان يدعو الى استيطان اليهود فى قبرص وسيناء وفلسطين والبلدان المجاورة لها . قضى حياته يدعوا لذلك. انه يرى ان ارض اسرائيل هى بلاد مابين النهرين التى عرف وجود النفط فيها – يوم ذاك – لافلسطين . واما فلسطين التى يطلبها والتى يراها معقولة فهى بالتحديد من سيناء الى لبنان الى سورية والاردن مع شرقى قبرص بمساحة اجمالية تبلغ ٣٢٠ الف كم٢ ولكنه يتنازل فيوصى بالبدء من منطقة اصفر مساحتها ١٢٠ الف كم٢ .. على انه لا ينسى المطالبة ايضا بالدائرة الاوسع التى تصل الى ساحل الاسكندرية واضنه .. او نحسب انه يبنى ارقامه ومطامحه على شطحات الحشاشين ؟ انه انما كان يتحدث بالرقم والدراسة المتعمقة للامكان الاقتصادى وللاستيطان الاستعمارى المسيطر .. مات الرجل فى تل ابيب سنة ١٩٣٥ ،

واما الحاخام ايزاكس ، البولونى فقد نشر له فى اميركا سنة ١٩١٧ كتاب « الحدود الحقة للارض المقدسة » وفي التفسير الديني جدا ! والتاريخي جدا ! الذى خرج به هذا الحاخام بعد ان قضي حياته يدرس التوراة وسفر العدد منها خاصة ، قال ان ارض اسرائيل تمتد من الاسكندرونة الى اواسط سيناء وتشمل الصحراء من العقبة حتى تدمر وحتى الفرات . تلك فى رأيه مملكة سليمان ، وتكرم الحاخام فترك خارج الحدود مدينة حلب .. ويعلم اى باحث عادى انـه لا سليمان ولا اى يهودى حكم فى اى دائرة تجاوز منطقتى الجليل والخليـل .

الصهيونى الاخر ارثر روبين . فى سنة ١٩١٩ كان يلوب حول مؤتمر الصلح بمشروعه الذى يفسر وعد بلفور ، بينما كان ترومبلدور يحـاول تطبيق ذلـك المشروع على الارض : الحدود الشماليـة لفلسطين تشمل منابع الاردن في لبنان وسورية حتى قمم حرمون البيضاء وتحتضن حوران والجولان والاردن كله ارض موءاب وجلعا على طول الخط الحديدى الحجازى . ذلك حسب قوله ما تفرضه وجهة النظر التاريخية . اما مصر فيتفق على الحدود معها فيما بعد . المذكرة الرسمية التى قدمتها الصهيونية الى مؤتمر الصلح سـنة ١٩١٩ تبنت هذا الراى وتبناه معها برانديس ، المستشار اليهودى للرئيس الاميركى ويلسون .

لماذا لم تشطح الاطماع الصهيونية فى هذه الفترة الحرجة فتلف سورية الوسطى ؟ لانهم خافو ، يومذاك ان يزاحموا الاطماع الفرنسية فى سورية ولبنان . وفرنسا احد الحلفين الكبيرين فى قسمة الغنائم هل تخلوا عن شطحة الاطماع ؟ كلا . .

ارثر غينزبورغ الاكروانى ، مؤسس الصهيونيـة الروحيـة وفيلسوفهـا الـذى ترأس المؤتمـرات الصهيونيـة حتى مـات سنة ١٩٢٧ بتل ابيب ، والذى يعرفه الناس باسم احادهام عام ــ واحد من الشعب ظل يقول سنة ١٩١٩ : حاخامات الزمن القديم كانوا يشبهون فلسطين بالغزال الذى ينتفخ جلده كلمـا حسنت تغذيته . . لا حاجة بفلسطين المستقبل (يقصد اسرائيل) ان تبقى محصورة ضمن حدودها التاريخية . فالاستعمار الاستيطانى يمكنه ان يمتد حتى يشمل تلك الرقعة باكملها التى تضمنها الوعد الالهى من البحر المتوسط الى الفرات . . ومن جبال لبنان الى نهر مصر . هذه هى الارض التي اعطيت للشعب المختار .

وحين هادنت صهيونية وايزمن انجلترا لتطبق معها وعد بلفور تمرد على الاتفاق الصهيونيون الاقحاح الاكثر صهيونية من وايزمن ، فلاديمير جابوتنكسى هو الاسم الذى يبرز هنا . يصفونه بانه المحارب والنبى الثائر ورجل الدولة ولكن اسرائيل الحالية هى بنت هذا اليهودى بالذات : سنة ١٩٠٦ رسم صورة شباب المستعمرات من الناحال الحاليين ، قال يلزمنا اعداد نوع من السكان في فلسطين يملك القدرة فى المستقبل على القتال فى سبيل استقلالنا السياسى ثم كتب سنة ١٩٢٠ : « السبيل الوحيد لتحرير بلادنا لن يكون الا بالسيف .. بامكانكم الغاء كل شيء في اليهودية .. القلانس والاشرطة والاناشيد .. كل شيء عدا السيف. القتال ليس بدعة المانية ولكنه فى تاريخ اجدادنا . هم اعطونا التوراة والسيف. اماالقومية العربية فلا يمكننا حتى ولا الرضى عن الحركة العربية ، ونفرح من صميم القلب لكل فشل تمنى به ليس فقط فى الاردن المجاور او فى سورية فحسب بل وفي مراكش ايضا .. وفي سنة ١٩٢٤ وضع جابوتنسكي البرنامج الذى اعتبره تصحيحا للصهيونية . جعله فى اربع شعارات

- **الهدف : الدولة اليهودية**
- **مساحة الدولة : على ضفتى الاردن**
- **الاسلوب : الاستعمار الجماعي العسكرى**
- **النظام المالى : القرض القومى**

هذا الرجل انما هو صاحب منظمة (الارغون) الارهابية التى تحمل اليوم لواء الدم مع مناحيم بيغن باسم حزب حيروت . وما مات جابوتنسكي الا بعد ان ترك في شفاه جماعته حتى الان نشيد شمول هاياردن ـ شمال الاردن : مارسيينر الشباب :

« مجال حيوى للملايين نريد
« على ضفتي الاردن
« للاردن ضفتان
« الاولى لنا وكذلك الاخرى ! !

صهيونية وايزمن وبن غوريون واشكول حاربت الرجل ، قاومته رفضا ، على انه دكتاتورى وهتلرى اقامت التحالفات ضده ،

سمته بالمجرم لقتله (رئيس الوكالة اليهودية) ، وقف الاشتراكيون في وجهه ، لانه رفضهم ، كان ذلك كله لانه كان يشكل خطرا على المرحلة بما يفضح من الغد ، ولكنه (يعيش) اليوم سعيدا في تل ابيب .. شبحه يسيطر على كل شيء ،الكنيست والوزارة ومنظمات الشباب والمستعمرات . اشكول ينطق باسمه ودايان ينشد معه النشيد نفسه . هم جميعا عيال عليه وعلى صراطه في افكار اربعة هي الاطار الذى تدور فيه اسرائيل اليوم .. الاستعمار المتعصب ، والسيف ، والمدى الحيوى وهدم القومية العربية .. ما كان تطرفا فاضحا في الامس هو الخبز اليومي الاسرائيلي الان وبرنامج الغد القريب .

هل اثبت لكم تغلغل جابوتنسكي وراء المسرح الصهيوني ؟ خلال الحرب العالمية الثانية في سنة ١٩٤١ يوم دخلت انجلترا سورية ولبنان فاتحة واستخلصتهما من فرنسا ..

كان اكثر ما اهتمت به ان تتدبر الطرق والجسور في هذه البلاد .. وعهدت بتلك الاعمال للشركة الصهيونية المعروفة (سوليل بونيه) التابعة ، كما قد تعلمون ، للهستدروت وحزب الماباى ، حزب اشكول وبن غوريون من قبله . وقدبنت هذه الشركة بين ما بنت جسرا معلقا كبيرا على الفرات عند بلدة الرقة . ان المار امام قاعدة هذا الجسر لا يزال يرى الى اليوم كتابة عبرانية باهتة تقول : « هنا تنتهي حدودك يا اسرائيل » .

قصة اخرى بطلها روزفلت ، سمسار الصهيونية الاخر ، خلال الحرب العالمية الثانية نفسها : وفرصة الحرب هي مجال دائم للمساومات ولاندياح الاطماع : لقد فاوض اكثر من مرة عاهل المملكة العربية السعودية آنذاك ، وفي احدى المرات عرض عليه عشرين مليون جنيه استرليني مقابل ماذا ؟ مقابل السماح لليهود المساكين بانشاء بعض المستعمرات في خيبر وتيماء وشمال الحجاز .. ألم يكن جابوتنسكي قد تقمص في ثياب روزفلت ؟

ويتمم جابوتنسكي رجل اخر عاصره ، وقد مات معه هو هربرت سايد بوثام H. Side Botham انه اكمل ما نقص صاحبه من الفكر الجغرافي الدينى الدقيق . وفي كتابيه سنة ١٩١٧ وسنة

١٩٣٧ عن (انجلترا وفلسطين) يتحدث صراحة عن بيروت التى قد تكون حقلا للتوسع الاستيطاني الاسرائيلي وعن ما بين النهرين ، مهد الشعب اليهودى ، وعن الجولان بما فيه دمشق كقطعة من اسرائيل الممتدة من البحر حتى الصحراء ،هذه المناطق جميعا بالرغم من ان الصهيونية الرسمية المعتدلة لم تتحدث عنها قبل سنة ١٩٤٨، الا انه ما ان وجدت اسرائيل بالفعل سنة ١٩٤٨ حتى نراها تتطلع اليها . بن غوريون . اعلن ذلك صراحة سنة ١٩٥٢ في كتاب اسرائيل الرسمى ، ثم في كتابه (بعث اسرائيل ومصيرها) :

« ان بلادنا تمتد من الشمال الى الجنوب ، من قمم لبنان وحرمون الى البحر الاحمر وفي وسطها يقع البحر الميت » . انضم العجوز صراحة فيهذا التعريف ـ وهو وحزبه المسئولون الرسميون عن اسرائيل منذ سنة ١٩٤٨ الى اليوم وعن الهدنة ولجانها والامم المتحدة وتصريحات السلام ـ انضم الى حزب حيروت عدوه وجعل يفرق بين حدود الدولة التى قامت وحدود الامة التى يجب أن تكون . ولو أن هذه الامة لم تجتمع بعد ، قال : « دولة اسرائيل انما قامت على جزء من ارض اسرائيل .. انها ليست تجسيدا كاملا للرؤية الصهيونية » واذا أعلن الندم سنة ١٩٦٤ على ان فرصة سنة ١٩٤٨ قد ضاعت قبل أن تحتل اسرائيل المدى اللازم الذى يجسد تلك الرؤية قائلا : « ان حدود الدولة كانت تكون اوسع وابعد لو كان دايان رئيس الاركان في حرب سنة ١٩٤٨ ضد العرب » فان ايغال آلون المسئول الرسمى الاخر يجيبه فورا : « لو لم يطلب بن غوريون ، وهو رئيس الوزراء ووزير الدفاع ، وقف اطلاق النار ، لكانت قواتنا اكملت زحفها لتحقيق النصر باحتلال نهر الليطانى في الشمال وصحراء سيناء في الجنوب الغربى ولاستطعنا بعد ايام قلائل من متابعة القتال ، تحرير ارض وطننا بأكمله .. » .

وهكذا .. حتى في الوقت الذى كان فيه بن غوريون يعلن لديغول سنة ١٩٦٠ ان هدفه الرئيسي هو السلام ، ويعلن للناس انه لا يطمع بشبر واحد من اراضي الغير ، كان يكذب عن اطماعه ومعتقده . وبالرغم من انه كان في الحكم معه آلون ، وكانا يوزعان تصريحات السلام والامن والخوف من العرب . ويطردان خارج الحكم (بيغن) المتطرف ، الا انهما في الواقع كانا موحدى الموقف معه . كانا في جبهته الفكرية والتوسعية يعملان سرا على ما يقوله

علنا : « لن يكون سلام للعرب ما لم نحدد وطننا كله » ، ذلك واقع السنوات العشرين التـى سبقت الخامس من حزيران الحزين . الكنيست جميعه وقف بصورة عفوية ينشد لاول مرة سنة ١٩٥٦ نشيد (هاتكفا) حين اعلن بن غوريون الهجوم علـى سيناء ، لـم يستطع السيطرة على ما يكن من التوسع العدوانى . وسمى العجوز احتلال سيناء بعد ذلك « رجوعا الى الحدود التاريخية » .

اما بعد حزيران الحزين .. فلم تعد سلطات واحزاب اسرائيل بحاجة الى القفز فوق ظلها التوسعى او مضطرة الى تفشية الاطماع فلا تبين . اسرائيل ـ ويجبان نذكر هذا ـ مرحلةانتهت، ونحن الآن نشهد مرحلة جديدة للعدو هي (اسرائيل الكبرى) .. اهو مجرد اصطلاح ؟ كلا ..

في ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٦٧ ظهرت حركة (اسرائيـل الكبرى) ببيان وقعة ٥٤ كاتبا وعالما وشاعرا في اسرائيل في جريدة (ها آرتس) . منهم : (عجنون) حامل جائزة نوبـل ، والشاعـر (ناتان اكزمان) والعالم (يوسف اهارونى) والجنرال (ابراهـام جانى) ورئيس المخابرات السابق (تسير هاريل) .. فما لبث اشكول ان التقط بدوره الكلمة وتحدث في تشرين الاول (اكتوبر) ، بعد شهر فقط عن (اسرائيل الكبرى) وعن سعي اسرائيل لترسيخ قدمها على حدودها الجديدة . الموجة الشعبية ، المزيج من الغرور بالنصر العسكرى ومن الاطماع الاقتصادية ومن الهوس الدينـي والديماغوجية الانتخابية والتى تبلورت بشكل « لجنة العمل لاتمام ارض اسرائيل » اراد اشكول هو ايضا الا تفوته عملية التصعيد في الهوس القومي التى أرادوا استغلالها ، اخذت بسرعة تجرفهم .. نقلت الاستراتيجية الصهيونية اذن ويجب ان نعرف هذا اطماعهـا الى مواقع جديدة . خندقت الان في واقع الفتح وسياسة اللاتراجع وحلم الارض الموعودة غدا .. ان يارينغ ليس في الواقع اكثر من ملهاة مؤقتة فاشلة .. مرسلوه انفسهم يعرفون ذلك ، ولعلهم لهذا ارسلوه . ليس في الحكم الاسرائيلي القائم . وهو يمثل ائتلاف جميع الاحزاب ، عدا الشيوعيين . من وزير واحد يقول بارجاع المناطق الغربية المحتلة . قصارى خلافهم كما كشفته مجلة (تايـم)

منذ اشهر . انهم بين فريقين : فريق يرفض ارجاع شيء على الاطلاق وفريق يقبل ارجاع قسم من سيناء فقط خرائط المساحة في اسرائيل ، كلها ظهرت تحمل الحدود الجديدة .

٣٧ مستعمرة استحدثت في الجولان وفي الضفة الغربية وشمال سيناء بانتظار مثلها في العدد هذا العام . الاراضى المغتصبة تطورت النظرة اليها اربع مرات في اشهر كانت في حزيران الحزين « المناطق التى تم الاستيلاء عليها » ، ثم صار في آب (اغسطس) المناطق المحتلة ، واصبحت في ايلول (سبتمبر) المناطق المحررة ، ثم صارت في تشرين رسميا اسرائيل الكبرى . .

مجلة نيوزويك هي التى سجلت هذا التطور في آخر سنة ١٩٦٧ . وليس جابوتنسكي وحده هو الذى يسرح الآن في الشوارع والمستعمرات والحكومة . ان سايد بوثام عاد الان يدرس بما قدمه لمشاريعه من ملاحظات عسكرية واستراتيجية وما درسه من متطلبات الامن والصمود الاقتصادى (وتريتش) صاحب فلسطين الكبرى طبع من جديد . وأبحاث نحميادى ليمي عن المقومات الاقتصادية لاسرائيل المقدسة عادت تنبش . وعلى المصلين في الكنيس تتلى بصوت جهورى الان تفاسير الحاخام آيزاكس لسفر العدد ، حول (الحدود الحقة للارض المقدسة) والتى تمتد حتى الاسكندرونة وحوض الفرات .

والشباب ينشدون مع (هاتكفا) نشيد (شمال هاياردن) ونشيد الحارس على الاردن على طريقة النشيد الالمانى (الحارس على الرين) الموقف الجديد يسقونه الان للناس في اسرائيل وتنتظم الاحزاب حوله في جوقة واحدة ، وبينما يصرخ (آلون) باسم أحدوت ها عفودا « ان حدودسنة ١٩٤٩ كانت خطوات هدنة املتها الاعتبارات العسكرية وليست حدودا ، واسرائيل ترتكب غلطة تاريخية كبرى ان تراجعت عما احتلته » . يصرخ دايان من الطرف الاخر باسم (رافي) يجب النظر الى واقع سنة ١٩٦٧ والى خريطة سنة ١٩٦٧ . . ان الحدود السابقة وضعت ، واسرائيل ضعيفة ، وقد اوجد ذلك الوضع حدودا غير معقولة . . ويعلن حاخام اسرائيل الاكبر في بوقه باسم الحزب الدينى القومي : « ارض اسرائيل ميراث

مقدس لا تملك اى سلطة دنيوية او دينية التنازل عنه » ، ويقول بيغن باسم حيروت : « لن نرتكب جريمة التراجع عن الوطن المحرر ونتطلع الى تحرير الباقي » . ويعلن ابا ايبان باسم الماباى : « لن نتخلى عن الاراضي المحتلة ولو صوتت الامم المتحدة ب ١٢١ صوتا ضدنا » ، واذا بدا لاشكول كما بدا له منذ يومين في تصريح (للنيوزويك) أن يتحدث بما يفهم منه بعض التنازل من سيناء قدمت له الاستجوابات في الكنيست والوزارة ، واضطر فورا لابتلاع تصريحه .. وما الفرق بعد بين ما يقوم به دايان (الماباى) في بيروت والسويس واريد والحدود كل يوم بين ما طلبه مردخاى (شترن) في الكنيست ١٩٦٧/١٢/٢٦ باسم كتلة كاهال « يجب ضرب البلاد العربية بحيث يدفع عشرات العرب ثمن كل ضحية اسرائيلية تسقط ؟ » .

ان هذا المد سوف يتصاعد باستمرار . وستسمعون الى مطالع الخريف المقبل ، على الاقل ، حتى التهديد والوعيد ، وقد تسمعون حتى صوت المدافع .. ان الانتخابات الاسرائيلية القادمة في تشرين سوق للمزايدة لن يفوت احدا النزول اليه .. ولن يغامر حزب بأى خطوة للوراء حتى ولا من اجل ارضاء اميركا .

أأريد ان اقول أن اجتماع القوى الاربعة الكبيرة فاشل ؟ قد يكون ، انما اتحدث عن الاطماع وبينما تتهيأ التغطيات والصيغ البديلة التى تمحو عن التوسع الصهيوني شكله العدوانى وتعطيه الشرعية تتهيأ بالمقابل نظرية الغد وخريطة الغد : بلى ! فلكل موقف صهيوني تبتكر النظرية والمبادىءالعلمية التى تبرره وتمشى بالمباخر أمامه ،وتوضع المخططات . في تغطية التوسع الحالى واضفاء الشرعية عليه تثار الدوامة اللفظية العجيبة حول صفة الحدود المطلوبة مع العرب : آمنة ؟ حيوية ؟ تاريخية ؟ شعرت اسرائيل ان من الصعب التعمية على واقع الاحتلال ، ومن الصعب ايضا الاصرار على حدود تاريخية لم تكن ابدا في يوم من الايام اكثر من وعد ميتولوجي . ولذلك عادت الى الباب المفتوح دوما ، باب الحدود .. لقد بدأوا بكلمة (وطن قومي) فوصلوا الى خطوط التقسيم

سنة ١٩٤٧ ثم الى حدود الهدنة سنة ١٩٤٨ ، ثم اضافوا لارضهم المناطق المجردة من السلاح على الحدود السورية والاردنية والمصرية ثم اضافوا مكاسب المرور بالعقبة سنة ١٩٥٦ ، وفي سنة ١٩٦٧ وصلوا الى خطوط جديدة وقفت عندها النار ..

وحجة المماطلة الان تدور في ((الحدود الامنة)) وما حدود الامن ؟ والحدود الشرعية ، واين تبدأ الشرعية واين تنتهي ؟ والحدود التاريخية والمقدسة وما كان لها يوما من وجود .. بل يتحدثون من اجل الغد ايضا عن الحدود الحيوية ويتحدث اشكول في هذا الميدان عن مياه الليطانى التى تذهب هدرا ..وعن الجولان غير المستغل .. الم اقل انه الباب المفتوح هذا الباب ؟

اما من اجل الغد ، فاذا كانت لا تكفي نظرية التاريخ العتيق والحق المقدس حجة فقد نزلت الى السوق نظرية اخرى ترفدها ، ونزل معها على الطرف الاخر خارطة اسرائيل المقدسة :

اما النظرية فنشرها بنيامين اكسين ، استاذ العلوم السياسية في الجامعة العبرية ، قال : ان العالم اليوم يتوزع ثرواته بين بنى الانسان .. نحن في عهد المساواة والتعاون العالمي ، ومن العدل ان نأخذ حصتنا ، والعرب يحاربوننا منذ عشرين سنة لقطعة ارض هي ارض اجدادنا ولا تزيد عن بضع عشرات من آلاف الكيلومترات ، بينما لديهم ضعف حاجتهم من الارض والثروات .. أليس هذا منتهى الظلم ؟

واما الخريطة فقد نشرت في كراس مجاني وزع في الولايات المتحدة ، في مثل هذه الايام من السنة الماضية ، فيه خارطة اسرائيل سنة ١٩٤٧ ، باسم اسرائيل الامس . وخارطتها بعد حزيران باسم اسرائيل اليوم ، وفيه مصور الحاخام ايزاكس اياه باسم ((اسرائيل الغد)) .. ويبررون ذلك بالارادة الالهية ..

ان الالة العسكرية حاضرة ، وجهاز التعمية العالمي حاضر ، وهذه هي النظرية وخريطة العمل . هل ثمة من يشك في ان الحركة المقبلة ستقطع من جبنة الارض العربية ما تشاء ؟ ألم يجعل عمى الزعماء من هذه الارض المقدسة عاهر الطريق ، اولم يتركوها لمصير المال ((الداشر)) ؟ مرة ثالثة : من له اذنان فليسمع !

وأخيرا ، ايها الاخوة ، يأتي السؤال الاخير :

أأرض الميعاد ، او اسرائيل المقدسة في اقصى توسعها مجرد ارض ووطن ؟ أرض لعبادة يهوه القديم ووطن يلقى فيه اليهودى عصا الترحال ؟ الواقع ان هذه الارض لو كانت من بلاد اللابس والاسكيمو المتجمدة او في المستنقعات الاستوائية لما ذكر احد لها الرب ووعده ولا النبوءة والمعاد في هذا العصر الحديث ..

ما ذكروها في هذا العصر الحديث ، اذ ذكروا ، الا وهم وراء الذكر الدينى ، يتلمظون للقيمة الاقتصادية التى تمثلها : منذ ١٧٠ سنة بالضبط حين كان نابليون في مصر طلب منه يهود اوروبا أن يعطيهم من دلتا النيل الى عكا والبحر الاحمر ، وعللوا نداءهم لبني دينهم التعليل الاقتصادى : « اننا بذلك نسيطر على تجارة الهند وبلاد العرب وافريقيا الجنوبية والشمالية ونسيطر على المواصلات مع اوروبا وتصبح بلادنا مستودع جميع الحاصلات » . بعد هذا بمائة سنة ، سنة ١٨٩٩ جاء الصهيوني زانغويل يقول القول نفسه : من ينجح بترسيخ قدمه في قلب آسيا الغربية على مفترق البحار يكسب الجائزة في تقسيم الكرة الارضية .

وفيما بين وعد بلفور الى مؤتمر الصلح من سنة ١٩١٧ الى سنة ١٩١٩ كل التفاسير والتحاليل التى قدمها تريتش لفلسطين الكبرى او الصهيونيون في مذكرتهم الى المؤتمر او بحث بها الحاخام ايزاكس او روبين أو آحاد هاعام أو سايد بوثام كانت تبدأ وتنتهي في المدى الاقتصادى في منابع المياه ، في استغلال الارض والمرور ..

قالت المذكرة الصهيونيةسنة ١٩١٩ : « ان الحدود التى رسمناها هى ما نعتبرم ضروريا للاساس الاقتصادى للبلاد ، وفلسطين يجب ان يكون لها منافذها الطبيعية على البحار والسيطرة على انهارها وعلى منابع تلك الانهار . ومن المفضل جدا جعل مساحة فلسطين الجغرافية اكبر ما يمكن لتستوعب اكبر عدد ممكن .. وسهول شرق الاردن يمكن ان تصبح بصورة مدهشة حقلا للاستعمار التوطينى على نطاق واسع .. »

ان التفكير بفلسطين انما كان دوما ثنائي الوجه .. كان اقتصاديا اولا ثم يستخدم العامل الدينى . جحش الوصول .. كان

ذلك في العهد النظرى ، على الورق يوم كانت اسرائيل ورقا . اما اليوم فالامر مختلف جدا .. لعله يكفي هنا شهادة الخبيرين الاقتصاديين الصهيونيين ميخائيل شيفر وشاؤول زارحي ، يتحدث الاثنان بالتناوب في مقالين : « الازمة الحديثة سنة ١٩٦٧ » :

(أ) ان اسرائيل ، بعد السلم ، سوف تحل مشكلة فقرها في المواد الاولية باستخدام مقدرتها التكنية في استخراج ثروات الشرق الاوسط من المواد الخام ويعطي الخبير البارع مثال البوكسيت ، يستخرج من تركيا ويحول الى الومنيوم بكهرباء اسوان ثم يصنع في اسرائيل .

(ب) ان اسرائيل تعانى من نقص الموارد المائية ، والبلاد العربية المجاورة فيها الماء الوفير .

(ج) ان سوق اسرائيل المحتلة أصغر بكثير من صناعتها ، وان سوقها الطبيعية انما هي عشرات الملايين من سكان الشرق الاوسط .

(د) ان القدرة الانتاجية الحقيقية لاسرائيل غير مستخدمة بالقدر الكافي ولا يمد طاقاتها على مداها الا الانطلاق في الشرق الاوسط .

(هـ) ان استئناف العلاقات التجارية مع البلاد المجاورة يلعب دورا هاما في صادرات اسرائيل في المستقبل ويعدل ميزانها التجارى .

(و) وان موقع اسرائيل يمنحها امتيازا خاصا كبيرا كدولة ترانزيت ، وخاصة بين البلاد العربية ، وهو امتياز حتى الان غير مستعمل ويسبب لها الخسائر التى تقدر ــ حسب رأيهم ــ بأكثر من ١٤٠ مليون دولارا سنويا .

(ز) وتتمتع اسرائيل بموقع ممتاز بالنسبة لنقل البترول العربي . ولولا المقاطعة الاقتصادية لكانت شبكة الانابيت لبترول العراق كله وبترول السعودية تصب في حيفا مما يسبب الان خسارة بالنسبة لبترول العراق وحده تبلغ ٣٥ مليون دولار .

(ح) واخيرا ، فهناك فى الشرق الاوسط توزيع سيىء لعوامل الانتاج . ثمة رساميل يهودية وخبرة تكنية معهما تنتظر ، وثمة بالمقابل جموع من العمال العرب ينتظرون .. « أو ليس اشتراك الطرفين فى التعاون .. يفيد الطرفين » ؟

هل احتاج بعد هذا الى ان ازيد كلمة ؟ وما الاستعمار اذن ان لم يكن هذه النقاط بالذات ؟ ان الصهيوني (اورى افنيرى) دون ان يقصد يلخص كل ذلك بكلمة معبرة ، يقول : « الم يكن يمكننا (نحن العرب واليهود) تنظيم اقتصاد مخطط يستخدم سوقا هامة وذلك باستغلال ثروات بلادنا النفطية والمعدنية وباستخدام علاقات اسرائيل الدولية وتعبئة الرساميل بواسطة يهود الخارج لتنمية المنطقة كلها ؟ » . اذن ، فهذا هو الهدف الاخر . هذه هى اسرائيل.

مرة رابعة من كانت له اذنان فليسمع ..

لقد خلقت الصهيونية ، حتى الان ، الدولة ـ النواة ـ رأس الجسر الذى اخذ فى التوسع . البرنامج العتيق .. برنامج بال انتهى .. والبرنامج الثاني الان يستكمل لمساته الاخيرة بالاستقرار النهائي فى المناطق المحتلة . والبرنامج الثالث قيد المسير وبينما يعمل الجيش فى الداخل على الانسياح الاقليمي المتمادى ويعمل جيش السياسة على تغطية المواقف ، تبريرها ، خنقها دوليا ، تكون الصهيونية قد عملت على امور ثلاثة :

- **رفع الكثافة الديمغرافية والطاقة البشرية لاسرائيل الى اعلى حد ممكن بدفع اكبر عدد من المهاجرين اليها تبريرا للتوسع وسندا للانسياح الاقصى .**

- **خلق دولة كبرى فى المنطقة تكون وقد اتسعت اقليميابمافيه الكفاية هي الاقوى عسكريا واقتصاديا وعلميا .**

- **استخدام امكان تلك الدوله وطاقاتها الانتاجية والفنية والعلمية فى استغلال المجال الحيوي كله فى الشرق الاوسط وما وراء الشرق الاوسط .. أما العرب .. فليبلعوا رمل الصحراء ..**

هل انكشفت الان اعماق الجمدية الصهيونية القائمة ؟ « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوة فقد رايتموه وانتم تنظرون » .

ان اسرائيل ، ايها الاخوة ، لا تريد السلام ولا تريد الحرب . والسلام والحرب ليسا اكثر من وسيلتين مرحليتين تستخدمهما . تناوب بينهما . تلعب بهما دوما من اجل تحقيق الخطوة التالية

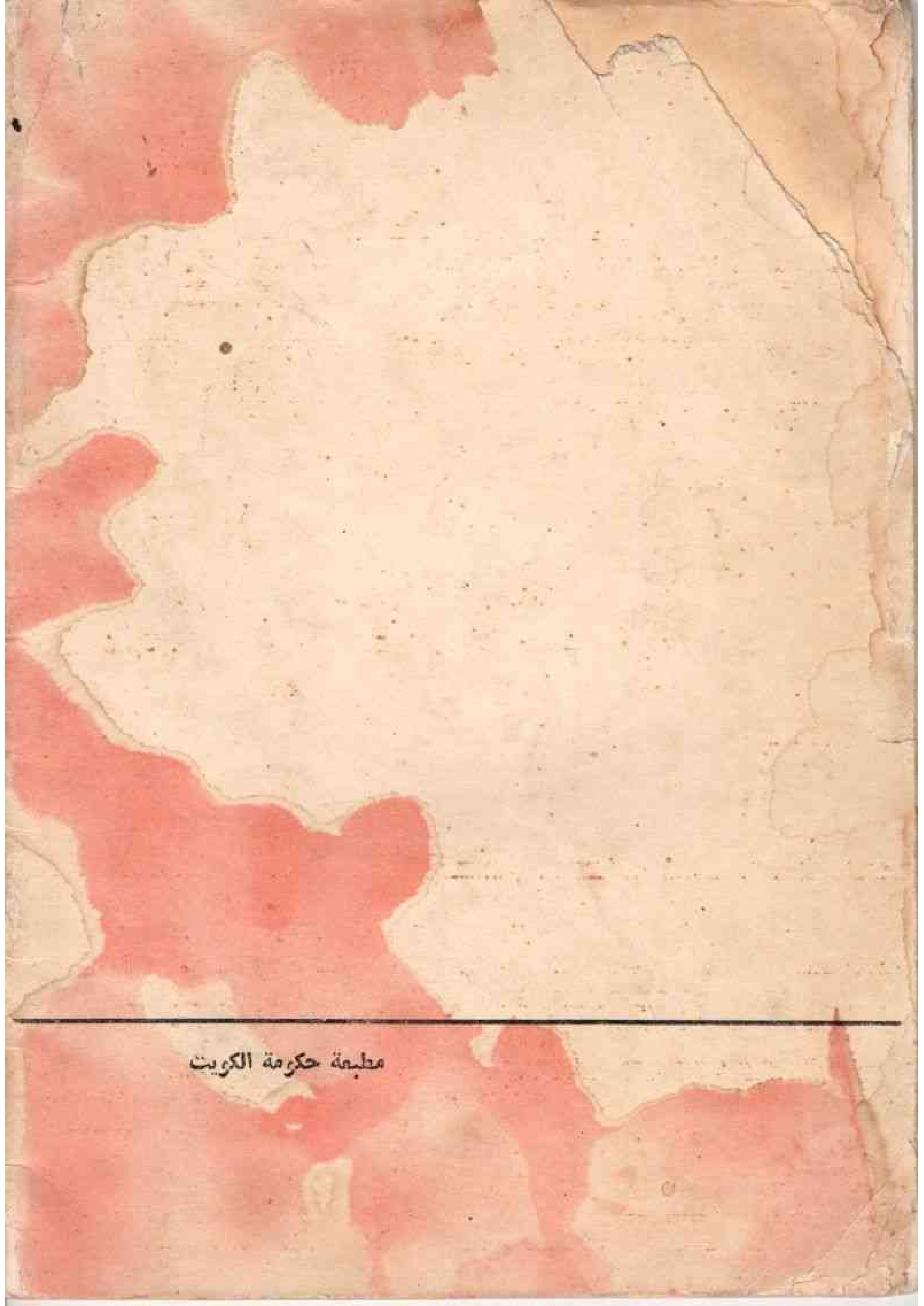
من الكسب .. ونحن في الواقع محصورون في الركن بالرغم منا امام أمرين .. احلاهما مر .. ولا ثالث .. نضال ضار حتى النصر او مصير كمصير الهنود الحمر .. اما ما يزعمون من حل سلمي ومن سلام دائم قد يكون ، فليس بالطريق الثالث .. انه الثاني نفسه .. طريق البوار ولكن بالسير البطىء .. انه لا ينهي المشكلة ولكن يبدؤها .. لان اسرائيل بعد السلم سوف تبدأ . سوف تمارس النشاط الذى انشئت من اجله . استثمار الشرق العربي موارد وقوى بشرية واستعباد .. وهي اذن النهاية ..

فهل من يسمع ؟

في روما القديمة يوم كانت روما تناضل النضال المرير ضد قرطاجنة . اتخذ (كاتو) زعيم روما شعارا لنفسه .. كلمة يرددها في ختام كل خطاب ليذكر شعبه ونفسه بالعدو .. « يجب أن تدمر قرطاجنة» ودمرت قرطاجنة بعد ذلك وحرثت ارضها بالمحاريث .. مائتا مليون عين عربية من ورائها اضعافها من المسلمين ، ومن احرار الدنيا تتلفت لعلها تلمح ذلك الذى يتخذ في القول والعمل شعارا من مثل شعار كاتو : يجب ان تدمر اسرائيل ، ويحقق على الاقل نبوءة التوراة ، توراتهم ذاتها ، اذ يقول أشعيا : « ويقطع الرب من اسرائيل النخل والاسل ، الرأس والذنب في يوم واحد » .

شاكر مصطفى





مطبعة حكومة الكويت